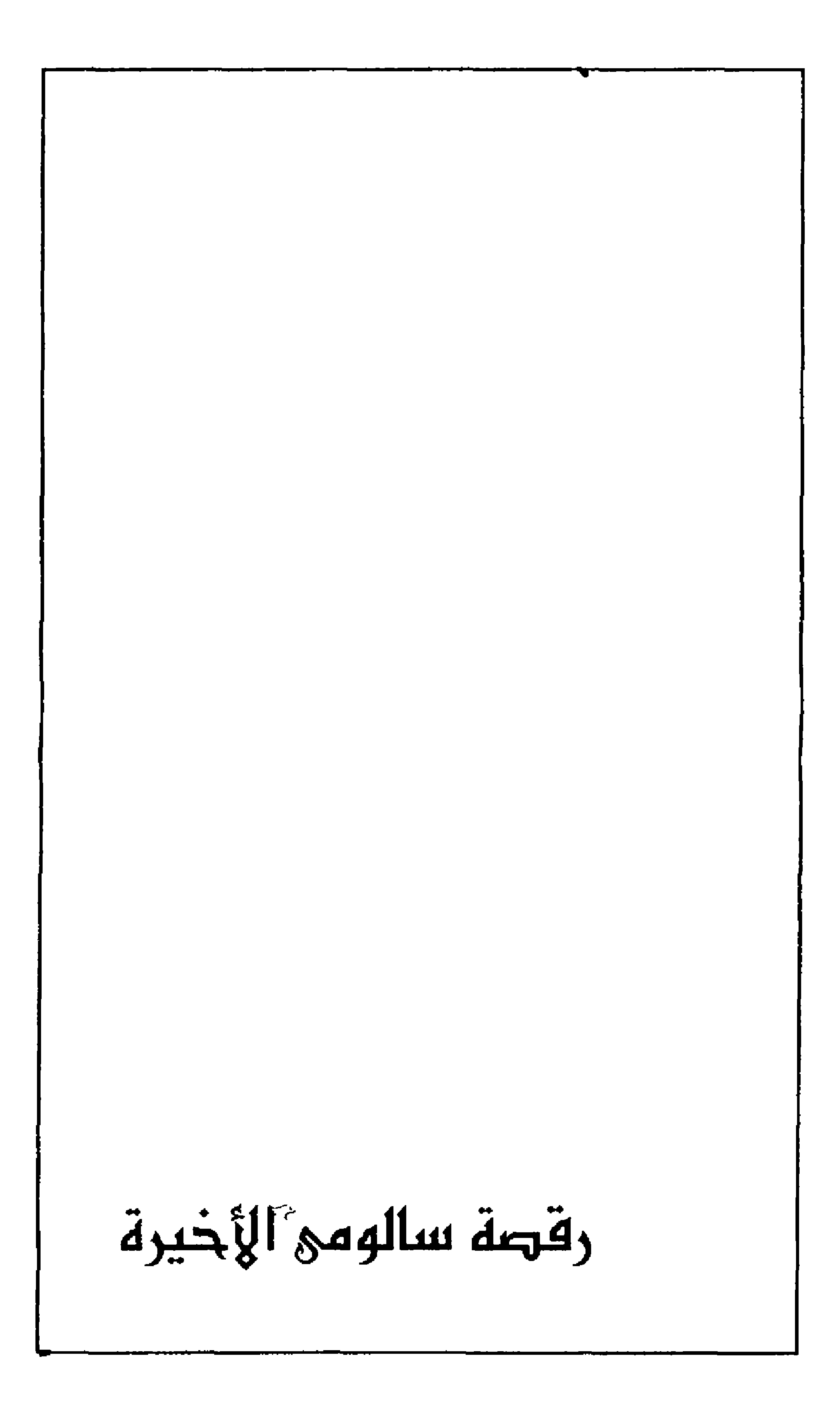




رقصة سالومى الأخيرة

محمد سلماوى

الهيئة المصرية العامة للكتاب



رقصة سالومي الأخيرة

رقصة سالومى الأخيرة

محمد سلماوى



مهرجان القراءة للجميع ٩٨
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(الأعمال الإبداعية)

رقصة سالومى الأخيرة
محمد سلماوى

الغلاف للفنان جمال قطب

الإشراف الفنى
للفنان محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د. سمير سرحان

إلى نازلي

هذا الكتاب

وكل ما صدر لي من كتب

م . س .

مقدمة

استحوذت سالومى برغباتها الجامحة على خيالى أول مرة فى سنوات الصبا حين قرأت ما كتب عنها من أشعار ومسرحيات ، فوجدت أنها ملكت خيال كثيرين من قبلى ، ربما كان أشهرهم المسرحى الأيرلندى أوسكار وايلد الذى كتب فيها رائعته القصيرة ذات الفصل الواحد والتى حولها الموسيقار النمساوى ريتشارد شتراوس إلى واحدة من أهم مؤلفاته الأوبرالية .

ولقد عادت سالومى تستحوذ على مرة أخرى فى الشباب حين بدأت أكتب للمسرح ، فكتبت فيها مسرحيتى السادسة متصورا أننى سأبرأ نهائيا من أسرها .

لكن هيهات .

إن مسرحيتى تنتهى باغتصاب سالومى عرش المملكة ، لذلك وجدتنى بعد ذلك أسأل : يا ترى ماذا حدث بعد نزول الستار ؟

وعدت إلى الكتب الدينية فلم أجد إسم سالومى نفسها إلا ضمن أربعة أسطر بالكتاب المقدس تقول بأنها بإيعاذ من أمها هيروديا رقصت لهيرود الحاكم زوج أمها ، فى مقابل أن يقدم لها رأس يوحنا المعمدان الذى كان يسب أمها فى الأسواق متهما إياها بالزنا .

وعدت إلى المراجع التاريخية فلم أجد ذكرا لحياة سالومى بعد مقتل يوحنا المعمدان سوى رواية وحيدة مشكوك فيها للمؤرخ جوزيفوس بأنها تزوجت مرتين ، الأولى من فيليب الأخ غير الشقيق لوالدها والثانية من أرسطوبولس ، ولا شىء غير ذلك ..

وعدت إلى المؤلفين والشعراء فلم أجد أحدا قد اهتم بسالومى إلا فى علاقتها بواقعة قطع رأس يوحنا المعمدان .

واستمرت الأسئلة تلح عليَّ : ماذا حدث لسالومى بعد ذلك ؟ أين عاشت ؟ كيف كانت حياتها بعد تلك الفعلة الشنعاء ؟ هل أحبت ثانية ؟ هل حقا تزوجت ؟ أين ذهب نسلها ؟ كيف لقت حتفها ؟

وفى صيف عام ١٩٨٩ حين أختيرت مسرحية « سالومى » لتمثيل مصر فى مهرجان جرش الدولى بالأردن ، دعانى الصديق أكرم مصاروة رئيس المهرجان لزيارة موقع قريب من مسقط رأسه يبعد عن عمان حوالى ٥٠ كيلومترا ، هو المكان الذى شهد أحداث قصة سالومى قبل حوالى ألفى عام .

وهناك على قمة ما أصبح يطلق عليه أهل المنطقة إسم جبل المشنقة لم أجد لمملكة هيرود البازخة أثرا .

لم يكن هناك ذهبا ولا فضة .

لم أجد الخضرة اليانعة التى قالت الأشعار أنها كانت تعلو على قامة الإنسان .

لم يكن هناك تفاح ولا عنب ولا رمان .

ومكان الأسواق كانت هناك أرض خراب .

فقط وسط الأطلال على قمة جبل المشنقة حيث كان قصر هيرود المشيد على أعمدة من رخام ، تعرفت على بضعة بلاطات رخامية هى بقايا أرضية البهو الفخيم حيث رقصت سالومى ، وقد اخشوشنت الآن من فعل الطبيعة القاسية فى هذا المكان الموحش .

سطح رخامى كان أملس وقت لامسته قدما سالومى العارية ، لكنه اقشعر إلى الأبد بعد أن شهد جريمتها الشنعاء .

وتلفت يمينا ويسارا أبحث عن أى أثر للحياة التى كان يموج بها المكان ، فلم أجد من حولى غير صحراء قاحلة .

ونظرت من فوق الجبل إلى الأفق البعيد ، فوجدت البحر .. البحر الميت .

وتذكرت أحد أبيات شاعر أسبانيا العظيم فدريكو جارسيا

لوركا : Tambien se muere el mar (والبحر أيضا يموت) .

وفجأة وسط هذا الصمت البهيم .. صمت الموت الذى يحيط بالمكان من كل جانب ، جاءتنى الإجابة على أسئلتى .. فكانت «رقصة سالومى الأخيرة»

المؤلف

الشخصيات

الملكة سالومى	٤٥ عاما.
الملكة الأم هيروديـاس	٦٥ عاما
هيرود	٧٠ عاما
لاشين وزير البلاط	٧٥ عاما
ناردين وصيفة الملكة	٢٠ عاما
ميراي وصيفة الملكة	٢٠ عاما
العبد	٢٥ عاما
هرمع	٧٥ عاما
عليون	٦٠ عاما
ماريع	٧٠ عاما
أخنوع	٦٥ عاما
البستانى	٥٥ عاما
سراج	٢٥ عاما
قادش الساحرة	١٠٠ عام
الجندى (١)	٣٠ عاما
الجندى (٢)	٣٠ عاما
زوجة البستانى	٤٥ عاما
القابلة	٥٥ عاما
السيدة (١)	٦٠ عاما

السيـــــدة (٢) .... ٥٠ عاما
رجـــــل (١) .... ٦٠ عاما
رجـــــل (٢) .... ٥٠ عاما
رجـــــل (٣) .... ٤٠ عاما
الثـائـــــر .... ٣٠ عاما
الرفـيـــق (١) .... ٢٥ عاما
الرفـيـــق (٢) .... ٢٥ عاما

خدم وعبيد ورجال بلاط وجموع من المواطنين

الجزء الأول



المنظر

القاعة الرئيسية بقصر سالومى أعلى أحد التلال .

المسرح مستويين : فى الخلفية مستوى مرتفع بعدة درجات عن مقدمة المسرح .

على المستوى الأعلى يقف الجندى (١) والجندى (٢) حاملين حرابهما الطويلة وعلى المستوى الأسفل تجلس ناردين وميراى مع العبد.

قبل رفع الستار يسمع صوت البحر هائجا ثم يبدأ فى الهدوء مع رفع الستار حتى يخفت إلى درجة تدل عدم وجود رياح .

العبد : يا إلهى ! كم هى حارة بلادكم هذه !

ناردين : بلادنا هذه لم تشهد مثل هذا الحر من قبل .

ميراى : إنها اللعنة التى حلت بنا .

العبد : أى لعنة تلك التى تحول الجو إلى صهد نيران ملتهبة كأنها آتية من جهنم الحمراء ؟ !

ناردين : أنت غريب عن البلاد أيها العبد ، ولابد أنكم فى الشمال لا تعلمون شيئا عما حل بنا .

ميراى : إنها لعنة السماء . اللعنة التى أصابت المملكة منذ .. (تهمس له) منذ فعلت سالومى فعلتها .

(يعلو صوت البحر)

نـــارديـــن . (مضطربة) لا داعى لهذا الحديث يا ميراى

الـعـــبـــد : أعرف ما تقصدين . لكن ذلك مضى عليه الآن سنـــــوات طويلة .

نـــارديـــن · وهل تصل إلى بلادكم أنباء ما يحدث عندنا ؟

الـعـــبـــد : ليس كل ما يحدث ، لكن أنباء ما تحدثت عنه زميلتك لم تصل إلى بلادنا فحسب ، وإنما ذاعت في جميع أركـــان الأرض .

مـــيـــراى : من حسن حظكم أن اللعنة لم تصلكم هى الأخرى .

نـــارديـــن : أخفضى صوتك قليلا يا ميراى ، ألا ترين رجال الحرس فـــوق رؤسنا ؟

مـــيـــراى : إنهم لا يتحدثون فيما بينهم إلا عن ذلك .

نـــارديـــن . هذا ما قالته لى أناهيد ليلة أمس .

مـــيـــراى · ليلة أمس ؟ ألم يذهب راعين للقائها ليلة أمس ؟

نـــارديـــن · بل ذهب فى الموعد .

الـعـــبـــد : من هى أناهيد ؟ ومن هو راعين ؟

مـــيـــراى · أناهيد زميلتنا الثالثة وصيفه الملكة سالومى وهى تحب راعين مساعد رئيس الحرس وتذهب كل ليلة للقائه فى مكان ما لن أقول لك عليه .

نـــاردين : كانت أناهيد فى حزن شديد حين عادت من موعدها.

مـــيــــراى : لم تعد أناهيد إلا مع الصباح يا حبيبتى ناردين ، فلابد أنها وجدت من راعين ما أدخل السرورإلى نفسها حتى مكثت معه الليل بطوله .

العـــبـــد : (لميراى) وهل تجدين أنت من يدخل السرور إلى نفسك .

مـــيــــراى : لم لا ؟ هل تجدنى عرجاء أم خنساء ؟ حبيبى شاب أسمر طويل ليس فى قوته سوى هرقل ، ليس فى جماله الا أدونيس الذى عشقته أفروديت الهة الجمال عند الإغريق (موجهة حديثها لناردين) وخبأته من أختها إلهة العالم السفلى .

نـــاردين : خبئيه كما تشائين فليس بى حاجة له ولا لغيره .

العـــبـــد : وكيف يدخل السرور إلى نفسك ذلك الحبيب الخفى ؟

مـــيــــراى : وما شأنك أنت أيها العبد الفضولى ؟

العـــبـــد : إنى أحاول أن أستزيد علما بأمور بلادكم .

مـــيــــراى : وهل بلادنا هى العجب العجاب ؟ إنه يدخل السرور إلى نفسى تماما كما أدخل أبوك السرور إلى نفس أمك يوم حبلت بك ، فاسكت والا أفصحت لك عن المزيد من أمور بلادنا مما

سيجعلك تحمـ ـخجـــــلا . (لناردين) ماذا حدث لاناهيد ليلة أمس يـــا ناردين ؟

نـــارديـــن : عادت من موعدها شاحبة كثلوج الشمال ، وكان جسدها واهن كجسد الطفل المريض .

مـــيـــراى : يا إلهى ؟ هل أصابها مكروه ؟

نـــارديـــن : قالت أن راعين لم يمسسها طوال الليل .

الـعـــبـــد : لابد أن ذلك يعتبر مكروها عندكم .

نـــارديـــن : لم ينظر إليها ولم يحدثها . كانت عيناه ذابلتين وكأنهما قد فقدتا الحياة .

مـــيـــراى : أنها ليست عادته .

نـــارديـــن : ظلت تلاطفه وتداعبه وتسائله عما به ، لكنه لم يجبها . حاولت أن تستثيره لكنه كان كمن فقد رجولته .

الـعـــبـــد : هذا مكروه عندنا أيضا .

مـــيـــراى : وفيما أمضيا الوقت حتى الصباح اذن ؟

نـــارديـــن : ظلا صامتين ، هو ينظر إلى السماء وهى تنظر إليه حتى بدأ يبزغ الفجر فتصورت أن حبيبها سيبتهج ، لكنه ظلِ فى ليله البهيم .

مـــيـــراى : ألم يحدثها على الإطلاق ؟

نــــارديـــــن : (تنظر حـولهـا) حـدث نفـسـه فـقـط . (تهـمس لميراى) قال : ترى هل سيفرض علينا أن نعيش حتى نرى إكتمال اللعنة أم ستـرأف بنا الألهـة فنموت قبل الميعاد ؟

مـــيــــراى : إلى أن تكتمل اللعنة فليعش ويستمتع بحياته كما نفعل جميعا . لكن هل معقول أنه لم يمسسها قط ؟! أن هذا الحديث لا يدخل رأسـى أنا .

الـعـــبـــد : ولا رأسى أنا .

مـــيــــراى : مالنا برأسك الآن ؟

نــــارديـــــن : لو أنك رأيت وجه أناهيد بعد عودتها لعرفت أن الأمر جد خطير.

مـــيــــراى : ألم يربت حتى على كتفها ؟!

الـعـــبـــد : أهذا ما يفعله معك حبيبك الخفى ؟ يربت على كتفك ؟

مـــيــــراى : حـبـيـبـى أنـا يا حـبـيـبـى فى كـل مـرة ألقـاه يعتصرنى بين ذراعيه كأنى فاكهته المفضلة حتى يقطر منى سـلافى ثم يحملنى ويجـرى بى فى الحقول وهو يمطرنى بالقبلات حتى نستقر فى مكاننا المختار و..

العبد : وماذا ؟

ميراى : وكفاك هذا . أليس كذلك يا ناردين ؟

ناردين : أتركيني أنا فى حالى يا ميراى ، أنك لا تفهمين شيئا . (تهم بالخروج) .

ميراى : إلى أين أنت ذاهبة ؟

ناردين : سأذهب لإعدام حمام مولاتى . أرجو ألا تتأخرى حتى لا ينالنا الأذى .

ميراى : أمامنا متسع من الوقت .

ناردين : تعلمين أن إعداد الحمام يستغرق ساعات.(تخرج)

العبد . وماذا فى هذا الحمام الذى يستغرق إعداده ساعات ؟

ميراى : أليس لديكم ملوك وملكات فى بلادكم ؟

العبد : لدينا بالطبع .

ميراى : وكيف يستحمون إذن ؟ بالماء كسائر البشر ؟

العبد : أتصور ذلك .

ميراى : ليس هذا هو حال ملكتنا على أى حال . أن سالومى لا تستحم إلا بلبن الماعز الدسم بعد أن يتم تدفئته قليلا ونقوم بتدليك جسدها الغارق فى اللبن لمدة ساعة على الأقل ، ثم تخرج من

حمام اللبن لندلكها بالعسل ونطعمها بغذاء ملكات النحل ، ثم تغتسل فى النهاية بالعطور القادمة من بلاد الشرق البعيد .

العبد : أهى متزوجة سالومى ؟

ميراى : بلْ هى وحيدة كالقمر فى السماء .

العبد : ولماذا لم تتزوج ؟

ميراى : كيف تتزوج وقد .. (تهمس له) وقد قتلت الرجل الوحيد الذى احبته..

العبد : وإذا كانت قد أحبته فلماذا قتلته ؟

ميراى : لقد قلت أنك تعلم بتلك القصة ، لكن يبدو أنك لا تعلم شيئاً على الإطلاق . (يسمع صوت البحر متوعدا) أوف من هذا الحر!

العبد : إنه سعير جهنم الذى لا تخف حدته ولا حتى فى المساء .

ميراى : بما أنكم لم تحل عليكم اللعنة فلابد أن الجو عندكم أفضل بكثير من هذا القيظ الذى نعيش فيه.

العبد : فى هذا الوقت من السنة يكون قد مضى عندنا موسم النسمة التى تداعب شعور الفتيات

العــذارى وحل مــوسـم الريح التى ترفع ذيول ألبسه النساء فى الهواء .

مــيــــراى : يا لك من عبد خبيث . لو سمعك حبيبى تتفوه أمامى بمثل هذا الكلام لقتلك على الفور .

العــــبــــد : لو كان حبيبك مثل حبيب زميلتك الذى ظل ينظر إلى السماء ويتحدث عن خشيته من اللعنة فلا يبدو لى أنه قادر على قتل ذبابة .

مــيــــراى : أذن سأقتلك أنا ، فما قولك ؟

العــــبــــد : (بصــوت مــرتفـع) ذلك يدخل الرعب إلى قلبى حـقـا فـأنا فى بلاد تقطع النسـاء فـيـهـا رؤوس الرجال .

(ينزل الجنديان من موقعهما ويندفعان إلى حيث يقف العبد)

الجندى (١) : ماذا تقول أيها العبد ؟

الجندى (٢) : احـفظ لسـانك وإلا وجدت نفسك فى القلعـة مع بقية قومك .

العــــبــــد : لم أقصد سوى المزاح .

الجندى (١) : وهل لم يكن ينقصنا سواكم يا أهل الشمـال كى تمزحوا معنا فى هذا الموضوع ؟!

العبد : لم أكن أقصد أن...

الجندى (٢) : (يقاطعه) من الأفضل أن تخرس لسانك هذا قبل أن نخرسه لك .

(يصمت العبد ويعود الجنديان إلى موقعهما بينما تسمع صرخة ألم شديدة يعلو بعدها صوت البحر)

ميراى : يا إلهى ! ما هذا ؟ ألم تسمع تلك الصرخة ؟

العبد : بل سمعتها .كانت صرخة ألم شديدة . ما عساها تكون ؟ (يخرج)

(تدخل ناردين من الجانب الآخر فى حالة ذهول)

ميراى : ماذا بك يا ناردين ؟ ماذا حدث ؟

ناردين : (تنفجر فى البكاء) أنها أناهيد يا ميراى .

ميراى : ماذا بها ؟

ناردين : لقد ألقت بنفسها فى البحر.

(يسمع صوت البحر صارخا هائجا)

ميراى : لا يا ناردين . لا تقولى ذلك

ناردين : أقول لك أناهيد ألقت بنفسها فى البحر.

ميراى : يا للفجيعة !

نـــارديـــن : (حالمة) كانت واقفة فوق السور فى الجانب الغربى من القصر، ناديتها : أناهيد..أناهيد .. لكنها لم تلتفت إلي . لم تتحرك جريت إليها وصرخت:أناهيد ماذا تفعلين ؟ نظرت إلي فى هدوء . كانت تبكى . قلت لها: ماذا بك يا أناهيد؟ قالت والدموع فى عينيها:راعين قتل نفسه يا ناردين . ثم صرخت صرخة ملؤها الألملم أسمع مثلها فى حياتى . وقبل أن ألحقها كانت قد قفزت من فوق السور (يسمع صوت البحر هادئا راضيا).

مـــيـــراى : إنك تهذين . قولى أنك تهذين يا ناردين .

نـــارديـــن : شاهدت جسدها الرقيق وهو يهوى من أعلى السور كالدمية البالية التي يقذف بها الأطفال من النافذة. ثم فجأة ابتلعها البحر فى لمح البصر، تماما كالأفعى المخيفة حين تنقض على عصفور صغير فيختفي من الوجود .

(يعلو صوت البحر ثم يختفى)

مـــيـــراى : (باكية) آه يا حبيبتى أناهيد .

(ينتفض الحرس أعلى المسرح معلنين دخول سالومى فتخرج ناردين وميراى)

الجندى (١) : الملكة سالومى .

الجندى (٢) : زينة النساء .

الجندى (١) : لها المال .

الجندى (٢) : لها الجاه .

الجندى (١) : لها الجمال .

الجندى (٢) : سيدة سيدات البلاد.

(تدخل سالومى من أعلى المسرح برداء ترصعه الجواهر والأحجار الكريمة وعلى رأسها تاج ذهبى وعلى جانبيها العبيد يهوونها بمراوح ريش النعام . يدخل ورائها ، لاشين . وعلى المستوى الأسفل من المسرح يدخل رجال البلاط ومن بينهم هرمع وعليون وأخنوع وماريع)

لاشين : مولاتى سالومى يجب عقد مجلس البلاط فى أقرب فرصة . هناك من أمور الدولة ما يستوجب إتخاذ القرارات .

سالومى : مجلس البلاط ينعقد فقط حين أرى أن هناك ما يستوجب عقده وليس حين تطلب أنت ذلك أيها الوزير لاشين.

لاشين : (مستغربا) لكنى وزير البلاط يا مولاتى وواجبى يحتم على أن ...

سالومي : (تقاطعه) إذا تماديت فى تذكيرى بمهام منصبك تكون قد تخطيت حدودك ويتحتم عقابك.

لاشين : مولاتى إن طلب عقد المجلس ليس مطلبا شخصيا لى وإنما أعضاء المجلس..

سالومي : (تقاطعه) آه.. أعضاء المجلس؟ ماذا بهم أعضاء المجلس؟ (تنزل إلى أسفل المسرح حيث يوجد رجال البلاط)

لاشين : انهم يرون ضرورة لأن ...

سالومي : أنت كاذب يا لاشين .

لاشين : مولاتى ...

سالومي : أنت وزير كاذب .

لاشين : هاهم أعضاء مجلس البلاط يا مولاتى أمامنا. هم الذين طلبوا منى أن أنقل لمولاتى طلب عقد المجلس وقد فعلت، فإذا لم تكن مولاتى ترغب فى عقده فهذا حق لمولاتى ليس لى أن أناقشه .

سالومي : وهل وصل بنا الحال إلى مناقشة حقوق الملوك بهذه البساطة ، وفى حضرتهم أيضا ؟

لاشين : حاشى لله يا مولاتى ، أننى فقط أقول ...

سالومى : لاشين قلت لك أنك كاذب ، فإما أن تكون كذلك أو أكون أنا الكاذبة .

لاشين : (فى فزع) مولاتى .

سالومى : على العموم سنرى الآن . (تنظر لرجال البلاط) ألا ترون معى أن لاشين وزير كاذب ؟ (صمت قصير) لم أسمع الرد. أليس لاشين كاذبا ياهرمع ؟

هرمع : إننا موافقون على ما تقولين يا مولاتى .

سالومى : اننى لم أسمع تلك الموافقة . ماريع ؟ عليون ؟ أخنوع ؟

هرمع : السكوت علامة الرضا يا مولاتى

سالومى : ليس بالضرورة. قد يكون السكوت علامة الرفض أيضاً. أريد موافقة صريحة واضحة. أليس لاشين كاذباً فى قوله أنكم تريدون عقد المجلس أيها الحكماء الصم البكم ؟

عليون : نعم يا مولاتى هو كاذب .

لاشين : ويحك يا عليون !

سالومى : أليس صحيحا يا ماريع أنه ليس هناك فى البلاد ما يستوجب عقد المجلس ولا إتخاذ القرارات ؟

ماريع : ليس هناك فى البلاد ما يستوجب عقد المجلس ولا إتخاذ القرارات .

لاشين : ألم تحدثنى بالأمس فقط يا ماريع عن أن . .

سالومى : (تقاطعه) ألس صحيحا أيضا أنه طالما أننى حاكمة هذه المملكة فلن يكون هناك أبدا ما يستوجب عقد مجلس البلاط ولا إتخاذ القرارات ؟ أنت يا أخنوع لابد أن لك لسانا ، فقد وصلنى ما تلوك به فى جلساتك الخاصة عن أمور الدولة العليا . أجب . أم أنك أصبحت الآن شيطانا أخرسا ؟

أخنوع : طالما أن مولاتى حاكمة المملكة فلن يكون هناك أبدا ما يستوجب عقد مجلس البلاط ولا إتخاذ القرارات.

لاشين : مولاتى ..

سالومى : (تقاطعه) أخرس يا لاشين واستمع إلى القرار التالى – أنه سيروق لك : بما أنه لن يكون هناك أبدا ما يستوجب عقد مجلس البلاط ولا إتخاذ القرارات طالما أننى حاكمة هذه المملكة فقد قررنا – وعليك أنت تنفيذ هذا القرار يا وزير البلاط –

الغـاء المجلس وتسـريح أعـضـائه ووقف مخصصاتهم التى أصبحت تثقل كاهل الدولة .

لاشـين : سأعمل على تنفيذ القرار على الفور يا مولاتى .

هـرمـع : مولاتى ...

سـالومى : لم آذن لك بالكلام .

مـاريـع : إن الحكمة مولاتى تقضى ..

سـالومى : لا تتحدث عن الحكمة ثانية فلن يكون بك حاجة إليها بعد اليوم . أبحث عن كلمة أخرى تكون أقرب لعملك الجديد . ماذا ستعمل يا ماريع ؟ نجارا أم حدادا ؟ وأنت يا عليون لماذا لا تعمل اسكافيا ؟ لقد أبلت زوجتك الكثير من النعال فوق رأسك .

عليـون : مولاتى سالومى..

سـالومى : وأنت يا هرمع . أنك أكبر أعضاء المجلس سنا فماذا سيكون بإمكانك أن تعمل فى سنك المتقدم هذا هيه ؟

هـرمـع : لا أعرف يا مولاتى .

سـالومى : بإمكانك بالطبع أن تعمل قوادا . لن يكون ذلك صعبا عليك فإن لك فى هذا المجال خبرة كبيرة تناسب سنك .

أخنوع : مولاتى

سالومى : لن أستمع لكلمة واحدة فليتفضل كل منكم بالعودة إلى منزله ولتبدأوا جميعا من الصباح الباكر فى البحث عن عمل جديد تتكسبون منه . سيفيدكم هذا كثيرا وسيفيد البلاد أكثر.

هرمع : مولاتى سالومى ، يا أعظم من حكمت البلاد ، أسمحى لنا أن ...

سالومى : انتهت المقابلة .

(يتجمد رجال البلاط كل فى مكانه دون حراك ويبدو عليهم الذهول)

عليون : (فى انفعال) لكن يا مولاتى ...

سالومى : إننى أنتظر انصرافكم .

(يتباطأ رجال البلاط فى الانصراف فيقتادهم الجنود إلى الخارج الواحد وراء الآخر إلى أن يخرجوا جميعا ويخرج الجنود وراءهم)

سالومى : (للعبيد) ماذا حدث لكم ؟ أكاد أختنق من هذا الحر. إذا لم تكونوا قادرين على القيام بعملكم الوحيد فى هذا القصر فيمكن استخدامكم

كطعام لأسود المصارعة وإحضار الفتيات للتهوية بدلا منكم ..

(يزيد العبيد من سرعة التهوية بالمراوح)

لاشين : مولاتى سالومى تفاجئيننا دائما بحكمتك وتمرسك في أمور الحكم .

سالومى : كفى نفاقا وإلا سرحتك أنت الآخر. أين وصيفاتى ؟ هل قمن بإعداد حمامى ؟

لاشين : سأذهب بنفسى لأتأكد من إعداد حمام مولاتى .

سالومى : (للعبيد) اذهبوا أنتم أيضا . هيا أغربوا عن وجهى فوجدوكم مثل عدمه .

(يخرج لاشين والعبيد وتبقى سالومى وحدها . يسمع صوت البحر حزينا بينما تتجه سالومى إلى الدرجات المؤيدة إلى خلفية المسرح فتخلع التاج والعباءة وتجلس على الأرض).

سالومى : (تنظر إلى السماء وتتنهد) هاهو القمر قد عاد من جديد لكن حبيبى لم يعد. أين أنت يا أقوى الرجال ؟ يا أجمل الرجال ؟ أيتها السماء الصماء صرخت إليك الليل كله أن تأتنى بحبيبى . أيها البحر الأبكم زعقت فيك الليل كله أن تأتنى

بحبيبى فارتجت الأرض وما عليها وارتعدت أعمدة المعابد من شوقى ، لكن حبيب لم يعد . عد إلى حبيبى . أننى أعد لك كل ليلة وليمة لم يشهد الملوك مثيلها . وليمة يقذف بها آخر الليل إلى الكلاب الجائعة . أعد لك أطباقاً من فضة وصحونا من ذهب وثيرانا وأبقارا وأكباشا ولحما يشوى على المذبح لكنك لا تجيىء . عد إلى شهرا واحدا فقط . بل أسبوعا . عد إلى يومين . أو ليلة واحدة . عد إلى ساعة ليس إلا ثم أتركنى ثانية . قد عطرت فراشى بمسك عود وعنبر . بالديباج فرشت سريرى . بكتان مصر . هلم تعال . إنى عطشى إليك . تعالى نرتوى الآن فالليلة قد اكتمل القمر . أين أنت ؟ فتشت عنك فى كل مكان فلم أجدك .السماء تقول ليس معى والبحر يقول ليس عندى . أين أنت يا من لا تورن بفضة ولا يعادلك ذهب ، ولا ينكر المرجان والبللور لك ثمن ؟ أين أنت يا من لا يساويك عقيق أصفر من باطن الجبال ولا لآلىء فضية من أعماق البحار؟ أين أنت ؟ كلت روحى من

الحـــــــزن عليك ، وأعـضـائي كلهـا صـارت كالظل . عدمت سريرى بدموعى ، ذويت فراشى ، ساخت من الغيم عيني . عطشت لـك نفسـى ، أشتاق إليك جسدى . تعبت من صراخى كل ليل ويبس حلقي . فـاضـت روحى من إنتظارك يــا حبيبى .

(تدخل ناردين وميراى)

نـــارديـــن : مولاتي ألازلت تناجين القمر ؟

ســـالومـى : مازال حبيبى غائبا يا نادرين .

مـــيـــراى : ماذا يفيد ذلك يا مولاتى ؟

ســـالومـى : ماذا يفيد التاج يا ميراى ؟ ماذا يفيد الجاه ؟ ماذا يفيـــد الصولجان ؟ هى لعب نلهو بها كالأطفال .

نـــارديـــن : مولاتى أنت ملكة ملكات الزمان .

ســـالومـى : وهل يستطيع الملك أن يعيد إلى حبيبى ؟ لقد أختطفه منى الموت وجعلتنى الأقدار أداته .

مـــيـــراى : قد كانت لك قضية يا مولاتى.

ســـالومـى : (صارخة فى عصبية) فلتذهب كل القضايا إلى الجحيم .. أريد حبيبى .

نـــاردين : وأنى لنا أن نأتى لك به يا مولاتى ؟

مـــيــراى : إن من خلقه خلق غيره .

ســـالومى : كلهم إناث وهو الرجل . كلهم حيوانات وهو البشر . كلهم أقزام وهو المارد . كلهم نجساء وهوالطاهر. أريد حبيبى يا ميراى أريد حبيبى يا ناردين .

نـــاردين : أمام الموت تعجز كل القوى يا مولاتى.

ســـالومى : فتشوا لى عن صاحبة جان فأذهب إليها .ابحثوا لى عن قادش العجوز أينما كان مخبأها. لن أترك طريقا ألا سلكته حتى ألقى حبيبى .

مـــيــراى : مولاتى قد حان موعد الحمام فتعالى ندلكك حتى تهدأ أعصابك .

ســـالومى : أين أناهيد؟

نـــاردين : مولاتى .. (تنفجر فى البكاء)

ســـالومى : ماذا دهاك ؟

(ناردين تستمر فى البكاء دون أن تجيب . سالومى تصفعها على وجهها)

ســـالومى : إذا سألت سالومى سؤالا يجاب عليها فى الحال . (تصفع ميراى) وأنت .. أين لسانك أنت الأخرى ؟

ميـــراى : لقد ألقت أناهيد بنفسها فى البحر . (يسمع صوت البحر صارخا)

سالومى : يا إلهى ! لماذا فعلت ذلك ؟

ميـــراى : لما وصلها نبأ إنتحار راعين لم تستطيع الحياة بعده .

سالومى : لماذا فعلت ذلك ؟

ميـــراى : كانت تحب راعين . أرادت أن تلحق به .

سالومى : (صارخة) آه ! (يسمع صوت البحر هائجا) يالقسوة القدر. إنه يرسم أمامى الطريق الذى يريدنى أن أسلكه . آه ! لشد ما أتوق للحاق بحبيبى ! لكنى لن أنصاع لتوجيهات قدر أرعن نذرنى لقتل حبيبى ثم يريدنى الآن أن أقتل نفسى مزينا لى الطريق بوعد اللقاء . لا أيها القدر الأحمق . لن أطيع أوامرك . بل ستطيع أنت أوامرى كما يطيعها الجميع ، وكما أخذت منى حبيبى ستعيده إلى من جديد . (يسمع صوت البحر هادئا) هل يعقل أن تكون وصيفتى البلهاء التى قتلت نفسها أكثر حكمة منى . هل فهمت أن عليها أن تموت حتى تلقى حبيبها ، ولم

أفهم أنا ذلك ؟ لا بل هى ضعيفة غبية لم تقو على مصارعة الاقدار . قد يهزمنا القدر فى النهاية لكن المهم هو ألا نستسلم له من أول جولة . إذا كان للقدر أن ينتصر علينا فذلك لن يتحقق بسهولة ، ستكل الأقدار وتتعب قبل أن تنال مرادها منى ، فبينى وبينها ثأر لا يمكن أن أتناساه أو أتجاهله . لا سأتحدى القدر .

نــاريــن : حاشى لله يا مولاتى من تحدى القدر . إن من يتحدون القدر يمسخون قردة .

ســالومى : (تضحك) فلتمسخنى الأقدار قردة أن كانت تقوى على ذلك . أنا سالومى تحفه الخلق وبديعة الزمان إلهة آلهة الرومان ، فكيف تفسد الاقدار جميل صنعها وفخر أيديها ؟

نــاريــن : مولاتى ..

ســالومى : إذن لن تكون أناهيد معنا اليوم .

مــيــراى : لشد ما سنفتقدها يا مولاتى .

نــاريــن : قد كانت وديعة رقيقة .

ســالومى : بل كانت رعديدة جبانة . هيا إلى الحمام ولا تحدثانى عنها ثانية .

(تخرج سالومى من أحد جوانب المسرح وورائها ناردين وميراى ومن الجانب الآخر يدخل هيرود على أطراف أصابعه مرتديا جلباب النوم وعلى رأسه طرطور ويدخل معه العبد)

هيرود : لا تحدث ضجيجا وإلا نبهنا إدارة المسرح .

العبد : مسرح ؟ أى مسرح ؟

هيرود : المسرح هذا .

العبد : (ينظر حوله) تقصد القصر .

هيرود : أى قصر ؟

العبد : قصر الملكة سالومى الذى نحن فيه الآن .

هيرود : (يضحك) الملكة سالومى ؟ أى ملكة أيها العبيط ؟ هل أنت مجنون ؟ أم أن مشاهد التمثيل قد خدعتك ؟ ليس كل من يضع على رأسه تاجا بملك . (متحسسا طرطوره) الناس لا يقاسون بما يلبسون فوق رؤوسهم . لا يا صاحبى ليس هنا ملوك سواى . أما الباقى فممثلون محترفون.

العبد : عم تتحدث ؟ أننا هنا فى قصر سالومى، وسالومى هى ملكتكم أليس كذلك ؟

هيـــــرود : لا ليس كذلك . أننا فى عرض مسرحى وكل يمثل الدور الذى وزع عليه . سالومى تمثل دور الملكة لكنها فى الحقيقة امرأة شريرة قتلت حبيبها، ومجنونة أيضا لانها تريد أن تعيده إلى الحياة . ولا شين يمثل دور الوزير لكنه فى الحقيقة زير نساء ، رغم أن النسوة الآن اصبحوا يسخرون منه لعجزه وهيروديـاس تقوم بدور الملكة الأم التى تقلق على مصير المملكة لكنها فى الواقع زانية .

العـــبـــد : وما قولك فى الحرس . أن هؤلاء حقيقيون . لقد كاد أحدهم يقتلنى منذ قليل .

هيــــرود : هذا دورهم وعليهم أن يأدونه بجدية . لكنهم فى الحقيقة لا يقتلون أحدا . أنهم مساكين لا يؤرقهم ألا قوتهم اليومى الذى اصبح شحيحا بعد اللعنة التى حلت بالبلاد . صدقتى .الجميــــع يمثلون . (مشيرا للجمهور) حتى هؤلاء . أنهم يقومون بدور المتفرجين المتفرغين لكن كل منهم وراءه مسرحيته المفجعه.. وأنت ؟ من تكون ؟ يبدو لى أنك شخصية حقيقية أليس كذلك ؟

العبد : أنا فلاح من بلاد الشمال أسرني جنودكم عند الحدود وأرسلني رئيس الحرس لأكون عبدا هنا فى القصر.

هيرود : إذن أنت صاحبى حقا فأنا أيضا أسير . لكنى لست فلاحا بل ملك .

العبد : ملك ؟ أنت ملك ؟

هيرود : نعم أنا الملك هيرود ، ألم تسمعوا بى فى بلادكم بالشمال ؟

العبد : بل سمعنا بالطبع . مولاى هيرود العظيم .

هيرود : لا داعى لكل ذلك ، يكفى أن تنادينى بصاحب الجلالة ، وبين الحين والآخر يمكن أن تقول لى يا هيرود ، فأنا الآن ملك مخلوع .

العبد : لكن من الذى أسرك ؟

هيرود : بعد أن خلعتنى سالومى وأمها هيروديا س عن العرش بمعاونة رجال البلاط وهذا اللعين لاشين أرادوا لى أن ألعب دور المجنون ، وأنا أرفض هذا الدور ، لذلك فهم يحبسوننى، وفى بعض الأحيان يعذبوننى أيضا ، لكن فى جميع الأحوال لن ألعب دور المجنون ، ربما كنت

مجنونا حين كنت على العرش لكنى الآن أعقل منهم جميعا .

العبد : أشعر أننى أنا المجنون ولست أعرف ماذا أصدق ومن أصدق .

هيرود : صدقنى أنا يا صاحبى هى مسرحية ليس إلا ، كل ما فيها تمثيل فى تمثيل . وأنت ألم يعطونك دور العبد؟ ربما كان عليك أن تلعبه أمامهم أما حين تخلو إلى نفسك فستجد أنك لازالت الفلاح الذى كنته .

العبد : هذا صحيح يا والدى - أقصد يا صاحب الجلالة - فأنا لا أشعر بينى وبين نفسى إلا أننى كما أنا لم أتغير.

هيرود : لكن حين يصيح فيك أحد رجال الحرس : أيها العبد ! ألا تجيبه ؟

العبد : بالطبع .

هيرود : أرايت ؟ أنك أيضا تمثل . أما أنا فلا . لا يمكن أن ألعب دور المجنون . أنا الملك هيرود حاكم المملكة ومبدد الظلمات ، جالب الرخاء ، رافع راية البلاد ، صانع الحضارة والسلام ، راعى

الفنون والآداب ، ملك ملوك الزمان . هكذا كانوا يناودونني . لكن كما يحدث في معظم الممالك كان هناك ثائر شاب من الناصرة يناصب التاج العداء . كان أعواني البلهاء بما في ذلك زوجتي هيروديا وابنتها سالومي يطالبونني بقطع رأسه متصورين أن ذلك سينهي المشكلة لكني لم أفعل ذلك خوفاً من أن تشتعل الثورة أكثر لو تحول بطلها إلى شهيد . لكن ماذا يمكن أن نفعل في عقول النساء ؟

العبد : تعرف الدنيا كلها أن سالومي رقصت لك عارية لتحصل على رأس الناصري وأن اللعنة قد حلت ببلادكم منذ أن قطعت رأسه .

هيرود : بالطبع حلت اللعنة فملك البلاد محبوس ، كما أن تلك اللعنة حقيقة وليست تمثيلا فقد كان ذلك الناصري حبيب اله من الآلهه لست أذكر الآن أيهم .

العبد : ماذا عن أتباع الناصري الذين يقال أنهم أصبحوا ينتشرون في البلاد ؟ (يسمع صوت البحر متوعدا) .

هيرود : ماذا عنهم ؟

العبـــد : يقولون إنهم فى كل يوم جديد يتقدمون نحو القصر وأنهم عما قريب سيقتحمونه ليخصلوا البلاد ممن فيه .

هيـــرود : (بجدية) لم أسمع بذلك . لابد أنهم اخفوا عنى الخبر فذلك هو ما حذرت منه .

العبـــد : هل هؤلاء الثوار يمثلون معكم أيضـــا ؟

هيـــرود : (بجدية ووراءه صوت البحر) لايبدو أنهم يمثلون . وبالتأكيد هم ليسوا معنا .. على أى حال سنرى كيف تسير الأمور . لنعد الآن إلى مسرحيتنا . من الآن فصاعدا ستكون أنت وزيرى بدلا من لاشين هذا ، وكما تنادينى بصاحب الجلالة سأناديك بمعالى الوزير . فلتكن لهم مسرحيتهم ولنصنع نحن مسرحيتنا.

العبـــد : أوامرك يا صاحب الجلالة .

هيـــرود : سنبدأ الآن يا معالى الوزير النظر فى شئون المملكة . تعالى ورائى بسرعة . (يدور فى دائرة ويصفق بيديه تصفيقا موقعا) واحد إثنين خرجى مرجى .

العبـــد : (يدور معه ويصفق) خرجى مرجى .

هيـــــرود : أنت حكيم وللا تمرجى ؟

العـــبـــد : وللا تمرجى .

هيـــــرود : حميدة ولدت ولد.

العـــبـــد : ولدت ولد .

هيـــــرود : إسمه عبد الصمد .

العـــبـــد : عبد الصمد .

هيـــــرود : مشيته على المشايه .

العـــبـــد : على المشاية .

هيـــــرود : خطفت رأسه الحداية .

العـــبـــد : رأسه الحداية .

هيـــــرود : حد يا بد يا رأس القرد .

العـــبـــد : رأس القرد .

هيـــــرود : هو ولد ولا بنت ؟

العـــبـــد : ولد ولا بنت ؟

هيـــــرود . هو ولد زى القرد .

العـــبـــد : ولد زى القرد .

(يدخل فجأة رجال الحرس بحثاً عن هيرود)

الجندى (١) : هاهو ! هاهو !

(يتوقف هيرود والعبد فى مكانهما)

الجندى (٢) : كيف تسللت إلى هنا يا هيرود ؟ لقد بحثنا عنك فى كل مكان .

هيـــــرود : لا يمكن أن تكونوا قد بحثتم فى كل مكان طالما أنكم لم تبحثوا هنا .

الجندى (١) : لقد ألحقت بنا الأذى بهروبك من غرفتك .

هيـــــرود : هى ليست غرفة وإنما زنزانة لا تليق بملك البلاد.

الجندى (٢) : عليك أن تعود إليهما على أى حال وإلا حدث مالا يحمد عقباه .

هيـــــرود : لن أعود . لقد سئمت تلك الزنزانة الحقيرة التى تشبه زرائب الحيوانات ولا تتسع لأن أمدد فيها ساقى. أننى لا أطيقها فى هذا الحر ، وهم يرغموننى على أن آكل وأنام فيها وأبول فيها أيضاً .

الجـــنـــدى : تعلم أن هيروديا أمرت بألا تخرج من غرفتك وألا تتحدث إلى أحد بالقصر ، ولو علمت أنك هنا الآن لدفعنا جميعاً الثمن غالياً .

هيـــــرود : سأصدر غداً أمراً بإعدام هيروديا لجرائمها ضد الوطن .

الجندى (١) : إلى أن تفعل ذلك عليك بالعودة من حيث أتيت .

الجندى (٢) : تذكر ما حدث فى المرة الأخيرة حين غافلت حارسك وخرجت من الغرفة .

هيـــرود لا أذكر شيئاً .

العـــبـــد : (لهيرود) ماذا حدث ؟

هيـــرود : أمرت تلك العاهرة بقطع أصبع قدمى الصغيرة وقالت أنه فى كل مرة أخرج من سجنى ستأمر بقطع أصبعا آخر من قدمى ثم من يدى .

العـــبـــد : يا إلهى !

هيـــرود لا تنزعج . مازال لدى ١٩ فرصة للخروج قبل أن أفقد أصابعى كلها . ثم أن أصابعى لا تهمنى على الإطلاق فأنا لم أعد أستخدمها فى شيئ . بل إنى لا أذكر أننى قد إستخدمتها أبداً . الملوك مهذبون لا يستخدمون أصابعهم .

العـــبـــد : لكن لا يصح أن يكون الملك بلا أصابع .

هيـــرود : ولم لا ؟ قد تصبح ملكاً مثلى فى يوم ما ، فقد أرقيك إذا ثبت جدارتك كوزير ، أو قد تغتصب العرش إذا كنت فى عجلة من أمرك ، وعندئذ لستجد أنك لن تحتاج أية أصابع على الإطلاق . ستكتشف أن أصابع من حولك مدسوسة فى كل

أمر من أمــور الدولة ، بل قد تجدها مدسوسة أيضا فى أدق دقائقك الشخصية .

الجندى (١) : هيا يا هيرود وكفى هذه الثرثرة . إن الملكة سالومى قادمة وإذا وجدتك هنا فسينالك مكروها.

هيــــرود : الملوك لا يتــحـــدثون إلى الجنود . أين رئيس الحرس .

الجندى (٢) : لا تتروغ يا هيرود وهيا إلى غرفتك .

هيــــرود : لكننا أنا ووزيرى لم ننتـه من بحث أمـور الدولة بعد .

العــبــد : لنكمل ذلك فى الطريق يا صاحب الجلالة .

الجندى (٢) : (للعـبـد) وأنت إحــتـرس مما تفـعل فى هذا القصر .

الجندى (١) : هيا هيا . الملكة قادمة .

(يسوقان هيرود والعبد إلى الخارج)

هيــــرود : (خارجا) واحد إثنين خارجى مرجى أنت حكيم ولا تمرجى .

العــبــد : خرجى مرجى خرجى مرجى .

(يخرجان مع الحرس ومن الجانب الآخر تدخل سالومى ووراءها لاشين) .

لاشين : (يكمل كلاما سابقا) .. وقد أجمعت جميع التقارير التى وصلتنى على أن أعدادهم تتزايد كل يوم وهم ينشرون فى كل مكان أنهم سيحررون الضفة الغربية للنهر ثم يهاجمون القصر .

سالومى : لا يهم .

لاشين : مولاتى لقد أصبحت هناك أراضى بالمملكة تابعة لهم بالكامل ولا ولاية لنا عليها الآن وهذا الوضع ..

سالومى : (تقاطعه) لا يهم . قلت لك لا يهم .

لاشين : أن أحد التقارير يا مولاتى يشير إلى أن بعض مواقع الجيش أيضا..

سالومى : (تقاطعه) أعلم ذلك بدون أن أتطلع على تقاريرك . الجيش لا ينفصل عن بقية الرعية فإذا وجد بين الناس داء فهو موجود أيضاً بين أفراد الجيش . لقد قاربت على توديع الحياة يا لاشين ولم تتعلم بعد المبادئ الأولية .

لاشين : وماذا سنفعل يا مولاتى . يجب أن نتخذ قرارات حاسمة فى هذا الشأن .

سالومى : لن نفعل شيئاً يا لاشين.كان يجب عليك فى سنك هذا أن تكون قد وصلت إلى قدر من الحكمة أو

حتى البصيرة تمكنك من معرفة ما تستطيع تغييره وما لا تستطيع تغييره مهما إتخذت من قرارات حاسمة.لكنك كما قلت لك لم تتعلم شيئا .

لاشين : إننا بذلك أنما نعطى لهم الفرصة لكى يزدادوا قوة ولكى يحكموا سيطرتهم على ..

سالومى : (تقاطعه) كفى هذا الحديث أنك لا تفهم شيئا . ألم تلقوا القبض على واحد منهم ؟

لاشين : بلى يا مولاتى .

سالومى : لماذا لم تحضره لى كما طلبت ؟

لاشين : أنه بالخارج يا مولاتى . لكنى لا أرى جدوى من ذلك .

سالومى : (تقاطعه) لم أسألك عن جدوى ذلك .

لاشين : أنهم جميعاً ..

سالومى (تقاطعه) أحضر ذلك الشاب وإنصرف يا لاشين .

لاشين : (متنهدا) أمرك يا مولاتى . (يصيح) أدخلوا الشاب . (لسالومى) أنهم شباب خطرون يا مولاتى .

(يدخل الحرس بالثائر الناصرى ويداه فى الحديد)

سالومى : (للحرس) إنتظروا فى الخارج .

(يخرج الجنديان)

سالومى : (للاشين) وأنت ألم أقل لك أن تنصرف ؟

لاشين : سأكون واقفا مع الحرس بالخارج إذا إحتجتنى يا مولاتى .

سالومى : لن أحتاجك .

لاشين : (خارجا) أننى لا أرى أية جدوى من ذلك . (يخرج).

سالومى : (تدور حول الثائر فى صمت) لا . لا تشبهه . لا أحد يشبهه . كان رجلا غير باقى الرجال .

الثائر : ولهذا قتلتيه ، ففى دولتكم لا مكان للرجال .

سالومى : بك بعض صفاقه لسانه دون عذوبته . قل لى يا بنى هل تستطيع أن تخبرنى بإسمه .

الثائر : لو قلت لك إسما لكنت كاذبا ، فلم يكن أحد يعرف له إسما . كان شابا كباقى الشباب ثائرا على الفساد والطغيان لم يميزه شئ ولا حتى إسم .

سالومى : لقد أحببته كما لم أحب أحدا من قبل ولا من بعد، لكنى لم أعرف حتى إسمه ولا من أين جاء ولا لماذا مضى .

الثـــــائر : تعلم الدنيا كلها أنك أنت التى جعلتيه يمضى . ان فعلتك قد دخلت سجل الجرائم الشنعاء فى التاريخ البشرى فلا تغفليننى .

ســـالومى : كف عن معايرتى بما فعلت وألا فعلتها ثانية معك .

الثـــــائر : حين يكرر التاريخ نفسه فهو يحول المآسى الكبرى إلى ملاه هزلية .

ســـالومى : أصغ إلى يا بنى . اننى أحمل فى صدرى عذابا هائلا منذ رحل رفيقكم الناصرى ، وعذابى كل يوم يكبر يزيد .

الثـــــائر : ذلك هو عقاب السماء على أنتهاك الحرمات بقتل نفس طاهرة كانت رسالتها فى الدنيا تطهير العالم من الرجس والفساد الذى تنشرونه بين الناس .

ســـالومى : حاول أن تتفهمنى يا بنى . ان حبيبى أصبح الآن لا يفارقنى قط . طيفه صار معى فى كل مكان . يلاحقنى فى النوم والصحيان . لكنه مجهول تمامـــا بالنســـبـــة لى . أريد أن أتصل به . بشخصـه . أو بجسده . أو بروحه . أو بإسمه . أريد أن أعرف كل ما يتعلق به . أريد أن أزور

بيته . أتعرف على أسرته . أقابل أمه . أريدها أن تروى لى كيف كان فى طفولته . ماذا شعرت حين كانت تحمله فى أحشائها .

الثائر : ان حديث المراهقين هذا يصيبنى بالغثيان .

سالومى : قل لى أى شئ عنه فأتخيله أمامى منتصبا كما كان، رجلا قويا يافعا يخلب الألباب، ان جسدى كله يتضرع إليك أن تحدثنى عنه ولو بأقل القليل .

الثائر : لست هنا لاشباع رغباتك المريضة .

سالومى : ألم تفكر فى احتمال ان اهتمامى بالناصرى قد يدفعنى فى النهاية للإنضمام إليكم ؟ هل فكرت أيها الشاب الغر فيما يمكن أن يحدث لثورتكم لو انكم فزتم بسالومى ؟ لو ان رأس الحكم فى البلاد صارت لكم ؟ انكم لازلتم أطفالا تلهون . كم تجهلون الكثير من أمور السياسة .

الثائر : لسنا ساسة يا سيدتى . أخطأت فهمنا . اننا ثوار ، والثوار لا يناورون ولا يبحثون عن المكاسب الدعائية . أننا نسعى إلى الحق والعدل. نسعى إلى إعادة حقوق الناس المغتصبة . نسعى إلى إعادة العدل الذى كان قبل أن يؤول الحكم

فى غـفلة من الـزمـان إلي عـشـيـرتك الفـاسـدة الطاغـيـة. ان حـال الشـعب يسـوء يومـا بعـد يوم وانتم هنا غفلي ، تنعمون بخيراتكم المغتصبة . هناك من يمـوتون من الجوع ومن تفـيض روحـهم بحـثـا عن قطرة مـاء. هناء الأطفـال والنسـاء والشـيوخ الذين يصـيبـهم الـهزال وينخـر المرض فى أجسـادهم حتى إذا جاءهم الموت بعد حين لم يجد فيهم ما يأخذه .

سـالـومـى : ماذا لو قلت لك صراحة اننى أريد الإنضمام لكم ؟

الثـائـر : لو قلت ذلك لكنت كاذبة ، ولو صدقتك لكنت أبلها.

سـالـومـى : (متوعدة) إحترس أيها الشـاب الوقح مما تقول . (تقـتـرب منه) لماذا لا تصـدقنى ؟ لماذا أنتم دائما شكاكون هكذا ؟ اننى أريد الإنضمام إليكم . من أجله هو .

الثـائـر : علاقتك بالناصرى كانت علاقة الجلاد بالضحية، علاقة الوحش بالفريسة .

سـالـومـى : أتعذب لفراقه .

الثـائـر : مـا يقض مضـجـعك هو انك لم تسـتطيعـى الفوز بفريستك رغم انك أزهقت روحـها .

سالومى : أنا الفريسة . أنا الضحية . ذهبت إليه طواعية ووهبته نفسى فلم يقبلها .

الثائر : لو انك وهبته نفسك لقبلها ، لكنك قدمت له جسدك فلفظه .

سالومى : لقد أحببته .

الثائر : هذا مالا شأن لنا به . ولا كان له هو به شأن .

سالومى : انتهكني ومضى . مرغ جسدى فى التراب . أردانى عاهرة كعاهرات الطرقات .

الثائر : عفوا سيدتي، قد كنت عاهرة قبل أن تقع عيناه عليك .

سالومى : (تصفعه على وجهه) أخرس أيها الوقح الجبان . تماديت في صفاقتك بأكثر مما ينبغى . تلك هى الملكة سالومى التى تحدثك فحذار أن تنسى ذلك وإلا دفعت الثمن غالياً أنت وجميع أهل الناصره . (تصفق للحرس بيديها فيدخل الجنديان) خذوه من هنا . أقذفوا به حيث وجدتموه .

الثائر : لقد حلت بنا اللعنة بسببك ولن تزول عنا إلا بزوالك . (تدخل هيروديا س مرتدية عباءة داكنة مرصعة باللآلئ وفى يدها مروحة سوداء لا تكف عن التهوية بها . يدخل وراءها لاشين)

هيروديا س : لا تدعيهم يطلقونه يا سالومى . قد نحتاج لاستجوابه

لاشـــين : لقد حدثت يا مولاتى تطورات جديدة فى قضية الثوار .

سـالومى : لا يهم . المهم ألا تقع عـينا ى عليـه ثانيـة (للحرس) خذوه من هنا .

(يخرج الجنديان بالثائر)

هيروديا س : كم يتمزق قلبى على البلاد يا سالومى .

سـالومى : آه ! أمى العزيزة ! أى أنباء سارة ! هل أصبح لك الآن قلب ؟ يا للسعادة الغامرة . أيها الوزير لاشين فليعلن غداً فى البلاد ان الملكة الأ. هيروديا س قد أصبح لها قلب كسائر البشر وا: صار الآن يتمزق على حال البلاد .

هيروديا س : ليس هذا وقت للمزاح يا سالومى . إن هناك أحداثا خطيرة قد..

سـالومى : (تقاطعها) أننى لا أمزح على الإطلاق ، فأنا جد سعيدة أنك قد أصبح لك قلبا يا أمى العزيزة بع: أن قارب عمرك على الإنتهاء ، وانه يتمزق على حال البلاد . لكن شد ما أخشاه هو أن يظل يتمزق حقا كما تقولين إلى أن يبلى فتعودين با. قلب من جديد .

هيروديـاس : ثوار الناصـرة قد أحكمـوا الآن سيطرتهم على الضفة الشرقية للنهر . لقد صرعوا أعدادا كبيرة من قوات المملكة هناك .

ســالومى : وماذا عسانا نفعل ؟ هل ستقترح أيها الوزير أن ندعو مجلس البلاط للإنعقاد ؟ بالطبع لا فقد خذلوك جميعا ، بالإضافة إلى أنه لم يعد هناك للبلاط مجلسا . (تضحك)

لاشــين : إنهم جميعا كاذبون يا مولاتى .

ســالومى : لا تكن أبلها يا لاشين . أتظن أنى لا أعرف ذلك .

لاشــين : بإستطاعتنا يا مولاتى أن نشكل مجلسا جديدا وندعوه للإنعقاد على الفور .

ســالومى : مجلسا جديدا ؟!

لاشــين : نعم . إن لدى قائمة بأكثر من مائة شخص مضمونون تماما . يمكن لمولاتى أن تختار من بينهم من تشاء .

ســالومى : والقائمة الأولى من الذى قدمها لى ؟ أنت الذى رشحتهم وقد خذلوك واحدا واحدا . باعوك أمام عينيك أول ما سنحت لهم الفرصة . الرجال جميعاً فى هذا الزمان أصبحوا جبناء . آه ! لم

أعرف رجلاً فى هذه البلاد إلا واحد فقط . كان بين بقية الرجال كشجر السنديان بين الأعشاب .

هيروديـاس : (فى حدة) دعك الآن من هذا الهذيان ياسالومى .

ســـالومـى : لقد أفزعتنى . أدخلت الرعب إلى قلبى . أين نهب قلبك الوليد يا هيروديـاس؟هل تمزق تماما أم انك لم تتعودى وجوده بعد ؟ إذا كان لازال ينبض فى صدرك فدعيه يتمزق الآن على إبنتك لما ألم بها من أحزان .

هيروديـاس : سالومى علينا أن نتخذ قرارا فى شأن ما يحدث فى البلاد . من رأى كبير الكهنة أن ..

ســـالومـى : (تقاطعها صارخة) فليذهب كبير الكهنة مع الكهنة جميعا إلى الجحيم .

لاشـــــين : مولاتى !

هيروديـاس : سالومى ! كيف تجرؤين !

ســـالومـى : لا تحدثونى عنهم وكفا ما فعلوه بى .

هيروديـاس : لم يفعلوا شيئا يا سالومى.طلبوا منك تقديم رأس الناصرى الدجال قربانا للرب من أجل صالح أمتهم ومن أجل صالحنا جميعا . لقد كان يجوب البلاد يسبنا ويحرض الناس ضدنا .

سالومى : لقد خدعنى هؤلاء الكهنة . قالوا لى أن قطع رأس الناصرى سينهى إلى الأبد الخطر الذى يتهدد الحكم لكن ما حدث هو العكس . الخطر الآن إشتد وإستشرى فى البلاد أكثر من ذى قبل .

هيروديا س : لا تنسى يا سالومى أننا عقدنا تحالفا بين حكمنا وبين هؤلاء الكهنة من أجل أن نأمن شرهم ونحوز رضاهم ، وإننا نجحنا بعد جهد جهيد فى أن نجعل روما تبارك هذا التحالف..الكهنة يقولون بأنهم القوم الذين إصطفاهم الرب من بين كافة البشر ، انهم شعب الله المختار لذلك فهم صلتنا بالسماء .

سالومى : هم صلتنا بالجحيم . هم صلتنا بالهلاك . فليغرقوا جميعا فى الطوفان. . فلتبتلعهم أمواج البحر

هيروديا س : سالومى !

لاشين : لو إنك اجتمعت بالكهنة يا مولاتى ! صار لهم سنتان يطلبون لقاء مولاتى وأنت تمتنعين .

هيروديا س : . قلوبهم ملؤها الحسرة يا سالومى .

سالومى : فليموتوا جميعا بحسرتهم . لن ألقاهم لا بعد سنتين ولا بعد عشر سنوات . أما عن قلوبهم فكفاك اليوم حديثا يا أمى عن القلوب .

لاشين : إذن ماذا نفعل يا مولاتى ؟ الثوار سيطروا حتى الآن على نصف المملكة انهم يتقدمون نحو الضفة الغربية .

سالومى : فليتقدموا . اننا فى إنتظارهم .

هيروديياس : سالومى إذا لم تكونى قادرة على إتخاذ قرار فى هذا الشأن فاتركينى أنا أوجه دفة الأمور حتى لا ..

سالومى : (تقاطعها) أنت لا تصلحين يا هيروديياس لمثل هذه الأمور(هازئة) فأنت أم رحيمة والسياسة تحتاج لغلظة غريبة عليك . كما إنك قد أصبح لك الآن قلب مما يزيد الأمور تعقيدا ، خاصة وإنه يتمزق على حال البلاد . إنك لم تعرفى طوال حياتك سوى الحفلات والرقص والمجون ، هذا فى وقت فراغك بالطبع حين تفرغين من الدسائس والمكائد . فابق إنت فى حفلاتك يا أمى ودعك من أمور الحكم .

هيروديـاس : تتحدثين وكأنك غريبة عن البلاد . عن أية حفلات تتحدثين يا أبنتي . أننا لم نشهد أية إحتفالات فى المملكة منذ سنوات . كنت أتصـور أننا سنعيش طوال الوقت فى الحفلات وسنقيم الليالى الملاح بعد أن زال البلاء الذى خلصتنا أنت منه يا سالومى . كان يؤرق أيامنا ويحيل ليالينا إلى عذاب مستديم فوضعت لذلك كله نهاية . وضعت أنت النهاية بيديك وبدون مساعدة من أحد .

سـالـومـى : ليتنى لم أفعل .

هيروديـاس : لا تقولى ذلك يا سالومى لقد أزلت عنا البلاء .

سـالـومـى : بل لقد جلبته بيدى .

هيروديـاس : سالومى !

سـالـومـى : لم يكن هناك بلاء . إن البلاء هو ما حل الآن بى وبالبلاد وأنتم لا تعلمون . انتم الذين تتحدثون كأنكم أغراب عن البلاد . (تصرخ) لقد حلت بنا اللعنة ، هل تفهمون ؟! اللعنة حلت وليس هناك ما نستطيع أن نفعله . ألا تدركون ؟! سلى أهل البلاد التى يتمزق عليها قلبك الرقيق .

دعيهم يسمعونك بعض كلمات النبوءة التى يحفظونها عن ظهر قلب (يتعالى صوت البحر غاضبا . سالومى تجرى من جانب المسرح إلى الجانب الآخر كالحيوان الأسير) لن ترتوى الأرض إلا بالدم . ستتحول الأنهار إلى أطران ، ويصير تراب البلاد كبريتا ، وأديمها زفتا ، ستشتعل فيها النيران ليل مع نهار ، ويصعد منها الدخان إلى أبد الآبدين . (صوت البحر) سيرثها القنفذ والقوق والكركى والغربان . ستسعى فيها الأفاعى وينعق فيها البوم . ستجف مياه الأمطار والأنهار والآبار . سيمتد إليها خيط الخراب ومطمار الخلاء . (صوت البحر) ملوكها وأشرافها سيغتالون وتمثل بجثثهم . قصورهم ستتهاوى وتصبح مأوى للذئاب وإبن آوى . بساتينهم سيطلع فيها الشوك العوسج . (صوت البحر) ابك معى يا أمى فى إنتظار اكتمال البلاء ودع قلبك يتمزق حتى يبلى.ابك المملكة التى سيحل بها الليل وتجد فيها الظلمات مستقرا أبديا.ابك أرضنا التى لن

يجتازها أحد إلى يوم الدينونة ، لا بشر ولا طير ولا حيوان ابك معى كل شئ فى البلاد ، فبلادنا كل ما فيها سيموت . سيموت الإنسان والحيوان. ستموت المروج والوديان . ستموت الخضرة والأشجار . ستموت الجبال والأحجار. ستموت السحب ويموت الهواء . والبحر أيضا سيموت . ابك كل ذلك يا أمى وابك روح إبنتك التى يعتصرها الألم على ما حل بها من بلاء . إبك كل ذلك الوباء يا أمى فما له الآن من دواء . ابك معى وليتمزق قلبانا ولتنشطر روحانا حتى ليدركنا الفناء .

(يعلو صوت البحر)

ستار

الجزء الثانى

المنظر

نفس المنظر السابق من حيث تقسيم المسرح إلى مستويين تفصل بينهما عدة درجات، وأن كان كل منهما سيرمز إلى مكان مختلف خلال المشاهد القادمة .

على المستوى الأعلى فى خلفية المسرح ينسدل ستار شبه شفاف يظهر من خلفه حمام سالومى الذى يتوسطه «بانيو» ضخم من الذهب الخالص ومزخرف برسوم بارزة على شكل حيوانات بريه . سالومى جالسة فى «البانيو» حتى كتفيها وناردين وميراى تقومان بتحميمها .

على المستوى الأسفل فى مقدمة المسرح يجلس هيرود على الأرض مع العبد . على رأس هيرود والعبد خوذتان صدئتان ومعهما بعض الخوذات الأخرى . فى يد هيرود قنينة نبيذ.

ناردين : (لسالومى)... عيناك حمامتان ترفرفان مع النسيم، شعرك قطيع من عنزات فوق جبل لبنان، أسنانك لآلىء فضية خرجت لتوها من اعماق البحار، شفتاك خيط قرمزى ، فمك كوب سحرى.

ميراى : ثدياك أيلان توأمان من بطن غزالة يرعيان فى المروج ، دوائر فخديك قلائد صنعتها يد صانع

حاذق ، سرتك كأس مستديرة لا يعوزها إلا النبيذ المعطر .

نـــاردين : ما فيك يا مولاتي عيب ولا نقصان .

ســالومى : لم يعد بى يا بنات إلا العذاب والهوان . للشجرة أمل أن تعود . فتخلف ، ومن قطرات الماء تفرخ ، وتنبت الزهر والثمار . أما الحبيب أن مات فتبلى من بعده القلوب ، يسلم الروح فإذا هو طيف فى الهواء كأنه ما كان ، فيتبدد الأمل فى اللقاء ولا تبقى لنا إلا حسرة البعاد . قلبى ضعفت نبضاته وروحى أصابها الصدأ.

هيـــرود : (للعبد) حين يكون لديك وقت أيها الوزير أريدك أن تنظف لى تاجى هذا .

العـــبد : تلك ستكون مهمة صعبة يا مولاى فالصدأ قد أتى عليه كله .

هيـــرود : ذلك لأنه تاج من الرصاص . كان تاجى أصلا مصنوعا من ذهب وفضة لكنهم سرقوه . كل شيء فى مملكتى كان من الذهب والفضة . كانت عندنا أطنان من الذهب كنا نصنع منها أقفال القصر والمفاتيح حتى لا يطلع الصدأ فى أيدينا ونحن نفتح ونقفل الأبواب .

العبد : ذلك من حسن حظ وزيركم حينذاك فلم يكن عليه أن ينظف الصدأ مثلى .

هيرود : أما الفضة فكانت عندنا جبال من الفضة . فلما كثرت واستثقلنا حملها فى أسفارنا البحرية صنعنا منها هلوبا لمراكبنا الملكية وعند وصولنا إلى روما كنا نلقى بها فى الماء أمام مندوبى قيصر.

العبد : يا للمجد والعظمة يا مولاى .

هيرود : أى مجد أيها الوزير الأبله وأى عظمة ؟! المجد لا يصنعه الذهب والعظمة لا تقيمها الفضة . لكنا كنا نلهو ليس إلا . المجد والعظمة تكمنان فى غير ذلك لكنا لم نكن نعرف .

العبد : لقد كان لملكتكم تاريخا عظيما طالما سمعنا عنه .

هيرود : التاريخ وزر ثقيل نحمله على أكتافنا ، ففيه سجل أخطائنا وخطايانا . الأمم السعيدة هى التى لا تاريخ لها .

العبد : لكن الاخطاء بها عبرة لمن يأت بعدكم . البشر يتعلمون من التاريخ .

هيرود : ما نتعلمه من التاريخ هو درس واحد فقط .

العبد : ما هو ؟

هيرود : أن أحدا لا يتعلم من التاريخ . أتحب النبيذ يا معالى الوزير؟ (يشرب من القنينة) أنهم يمنعوننى الآن من شربه . لذلك كثيرا ما أضطر لسرقته .

العبد : هل سرقت هذا النبيذ يا صاحب الجلالة ؟

هيرود : لا فهذا النبيذ بالذات أحضره لى سرا أحد الخدم . أنه ليس نبيذ القصر وإنما نبيذ الخدم .

العبد : ولماذا يمنعون عنك النبيذ يا مولاى ؟

هيرود : لأننى أحبه ليس إلا . تقول هيروديا أننى شربت منه ما يكفينى بقية عمرى وكأنها تدفع ثمنه من جيبها الخاص . أنها تتحدث معى دائما كأنها زوجة بقال .

العبد : هل تزورك هيروديا ؟

هيرود : لا . فهى حين ترانى تمرض لمدة شهرين ولا يعرفون لدائها دواء . أعتقد أنه وجع الضمير بسبب اغتصابها هى وابنتها لعرشى .

العبد : لا تسمه اغتصابا يا مولاى فالملكة هى ابنة زوجتك .

هيـــــرود : نعم لكن التاريخ لم يقل بأن يؤول اليها العرش .

العـــبــد : وماذا قال التاريخ اذن ؟

هيـــــرود : لم يقل شيئا . لقد توقف التاريخ عند واقعة قطع رأس الناصرى . توقف ولم يعرف ماذا يفعل ولا إلى أين يمضى . كانت الفعلة شنعاء والصدمة قوية ارتعدت لها أعمدة السماء .

العـــبــد : ألم يكتب التاريخ أى شىء بعد ذلك ؟

هيـــــرود : ولا أى شىء . لم يأت لسالومى ولا لأمها ذكر فى أى من الكتب القديمة بعد ما فعلوه بالناصرى . التاريخ أراد أن يعاقب سالومى فشطب اسمها من سجلاته .

العـــبــد : إذن ما هذا الذى نعيشة الآن .

هيـــــرود : أضغاث أحلام ، خيالات من رأس مؤلف هذه المسرحية الذى أراد على ما يبدو أن يلهو قليلا .

العـــبــد : وسالومى وهيروديباس ولاشين و ...

هيـــــرود : هى أدوار يلعبونها كما قلت لك . كله تمثيل فى تمثيل . الحقيقة الوحيدة هى هذا العطب الذى دب فى البلاد .

ســالومى : أصابنى العطب فى قلبى يا ناردين .

نـــارديـــن : بل مولاتى كالزهرة المتفتحة التى لا يصيبها الذبول .

ســـالومى : قد يصيب الزهرة ما هو اسوأ من الذبول حين تظل على رونقها لكن فى قلبها ينخر السوس .

مـــيـــراى : مولاتى شجرة يانعة تزدهر فيها كل الثمار.

(على المستوى الأسفل من المسرح يدخل البستانى بخطى متثاقلة)

البستانى : أسقطت آخر شجرة فى البستان ثمارها . براعم صغيرة أصابها الجفاف فماتت قبل أن تتفتح للحياة ، وثمار أصابها العطب فسقطت قبل الأوان ، وزهور أقفلت أوراقها على مافى قلبها من عفن خفى .

العـــبـــد : هذه أحزان كل من فى مملكتكم .

البستانى : لا أحد فى المملكة به من الأحزان ما بى أنا . أنا الذى أرى الأرض كل يوم وهى تجف أمام عينى ، تزيد بها التشققات وكأنها وجه امرأة عجوز تزداد فيه كل يوم التجاعيد بعد أن كان بضا ناضرا .

هيـــرود : كم كان فى مملكتى من بساتين وأنهار !

البستاني : (في حماس) كانت الخضرة تعلو على قامة الإنسان . كانت الوديان تتقاطع معها الأنهار ، والبساتين تتفجر فيها العيون والينابيع ، والظبيان تمرح بين التلال ، والطيور تغرد في السماء ، إلى أن حل بنا ذلك البلاء .

هيرود : ذلك كله من حكم النساء . مملكتي صارت الآن تحكمها النساء . سالومي وأمها ولاشين أيضا ، بل وكل رجال البلاط . جميعهم من النساء . أنني أعرفهم واحدا واحد . هذا هو السبب في أنهم يحبسونني كي لا أنشر عنهم الأسرار .

(يشرب من القنينة)

البستاني : لم تكن هناك فاكهة لم تثمر عندنا : التفاح والمشمش والكروم والرمان والتين والبرتقال . كانت الخيرات تفيض على الناس وكانت الأيائل ترعى في كل مكان .

سالومي : آه يا من يهواه قلبي . خبرني أين أصبحت ترعى ؟ وأين تمرح نعجاتك ؟ ولماذا صرت أنا كالضالة عند قطعان رفاقك ؟ آه حبيبي ! يا من أنت أجمل من الخيل في عربات فرعون . يا من

أنت أطهر من شعاع الشمس . يا من أنت أرهب من جيوش التتار . أنت يا حبيبى بين الرجال كشجرة التفاح بين الادغال . اشتهيت للرقاد فى ظلك وملء فمى بحلو ثمرك من كرم ورمان وبرتقال ومشمش وتين وليمون . أدخل معى بيت الخمر وانشر فوقى علم الحب . سريرنا العشب الأخضر ودعائم سقفنا أرز لبنان وزخارف بيتنا شجر السرو. آه ! آه ! (تسقط رأسها) .

ميراى : مالك يا مولاتى ؟

ناردين : مولاتى هل أنت بخير ؟

سالومى : أكاد يغشى على . أنعشينى يا ناردين بالنبيذ ، غذينى يا ميراى بالتفاح ، فأنا مريضة بالشوق.
(تخرجانها من الحمام وتحضران لها النبيذ والفاكهة)

هيرود : الحق هو الحق والزور هو الزور ولا يمت أحدهما للآخر بصلة وعندما كنت تسأل الناس : هل الحق هو الذى يمشى أم الزور ؟ يقولون على الفور : الحق طبعا . لكن حدث بينما كان الحق والزور مسافرين أن قال الزور للحق : أننا فى الحقيقة

أبناء عم فبدلا من أن ينهكنا المشى ويهدنا ، لماذا لا يحمل الواحد منا أخاه بعض الطريق ؟ فقال الحق : لا مانع . قال الزور : احملنى اذن على ظهرك . فحمل الحق الزور وظل يمشى به إلى أن تعب فقال له : الآن امشى أنت وأنا أركب . فرفض الزور ذلك وقال : فلنحتكم إلى أهل البلد . فقبل الحق ، فسأل الزور الناس : هل الحق هو الذى يمشى أم الزور؟ قال الناس على الفور : الحق طبعا . ومن يومها والحق فى بلادنا هو الذى يمشي والزور يركب .

سالومى : لقد تبدل الحال يا بنات . لم يعد شيء كما كان . النضارة تيبست فى الزرع والأزهار ، والخضرة صارت فى لون الحمرة والاصفرار . الأنهار نضبت وجفت الأمطار وقوة المملكة زالت والحب مات والرجال مضوا جميعا . لم يعد فى البلد إلا الخصيان .

هيرود : (للبستانى) أنت رجل بمعنى الكلمة أيها البستانى . لقد ظلت تقوم بمهام منصبك بتفان واخلاص حتى النهاية . سأسقيك بعض النبيذ .

هو نبيذ الخدم لكنه سيعجبك . أن نبيذ القصر نقي أكثر مما ينبغي . هو في الحقيقة كحول ملون . أما هذا النبيذ فلازالت فيه نكهة الكروم وعطر الحقول.

البستاني : شكراً يا صاحب الجلالة . لا أجد لدى ميلا للشرب . أن الأرض تتضور عطشا يا مولاي .

هيرود : إذن علينا أن نبحث لك عن مكافأة أخرى . (للعبد) ما قولك يا معالي الوزير لو أننا رقينا صديقنا إلى رتبة باش بستاني ؟

العبد : وماذا سيفعل وقد جفت المياه وسقطت الثمار.

هيرود : ليس عليه أن يفعل شيء فأصحاب الرتب لا يفعلون شيئا . عليه أن يستمتع برتبته الجديدة فقط ، فما قولك أيها الوزير؟

العبد : أنت صاحب الأمر والنهي يا صاحب الجلالة .

هيرود : تعال أيها البستاني . قف هنا أمامي وانصت . (يضع هيرود أحدى الخوذات على رأس البستاني) نحن صاحب الجلالة هيرود العظيم حاكم المملكة قررنا ترقيتكم إلى رتبة باش بستاني القصر .

العـبـد : ألن يتضمن القرار أية حيثيات ؟

هيـرود : آه بالطبع بالطبع . هاهى الحيثيات ، لتفانيك فى العمل ولاستمرارك فى عملك رغم عدم وجود زرع تزرعه ولا ماء تروى به ، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على إخلاص فى العمل لم أعرف له مثيلا فى مملكتى . والآن بامكانك أن تترك العمل فى الحديقة وتنضم إلينا نحن العظماء الذين لا عمل لنا إلا أن نكون سادة البلاد .

البستانى : لا أستطيع أن أترك البستان يا مولاى . لقد أفنيت حياتى فيه ولا أستطيع الآن أن اتخلى عنه.

هيـرود : لكنه مات وتحول إلى أرض خراب . فماذا يمكنك أن تفعل به ؟

البستانى : لازلت أعزق الأرض كل يوم عسى أن تعود الماء واقلم الأشجار أملا فى أن تطرح الثمار .

هيـرود : لا أمل هناك يا رجل لا أمل . أنها لعنة قد أصابت البلاد ولن تتركها إلا صحراء جرداء .

البستانى : بدون هذا الأمل لن استطيع العيش يا مولاى . الأمل هو الذى يدفعنى للاستمرار فى العمل . بدونه لا أعرف ما قد يحدث لى .

هيـــــرود : آه ، كـان عـلـيـك أن تـقـول لــى مـن البـداية أنـك لا تـسـتـطـيع الاستغناء عن عملك . تلك من خـصـائص الـرعـاع . أنت إنسـان صـادق ومخلص لعمـلك لكـنك لا تـصلح يا صديـقى أن تكـون مـن السادة . سـأضـطـر الآن لإلغـاء قـرارى الملـكى الأخـيـر بتـرقـيـتك . (يخلع الخـوذة عن رأس البستانى) ستعود بسـتانيا كمـا كـنت . ستـظل بستانيا إلـى أن تمـوت . رغـم عـدم وجـود عـمـل تـقـوم بـه فـى البستان .

البـسـتـانى : أشكرك يا مولاى .

هيـــــرود : بإمكانك أن تشكر الوزير أيضـا فـقـد كـان فى مـقدوره أن يوقف قـرار ترقـيتك ، فـهـذا عـمل الوزراء ، أن يمنعوا الخير عن بقية الناس حتى لا يصيروا وزراء مثلهم أو بدلا منهم.

البـسـتـانى : شكراً يا معالى الوزير.

هيـــــرود : والآن يـا وزيـرى سـتـتـولى مـنصـب المـلـك لـدقـائـق قـلـيـلة ثـم تـعـود وزيـرا مـن جـديـد . فـقـد بـذلـنـا اليوم على غير العادة جـهدا كبيرا

فى أمور الدولة حتى أصابنا الاعياء فصرنا بحاجة للتدليلك . لا أعتقد أنك ستمانع يا صديقى بما أنك فى الحقيقة عبدا ليس إلا .

العبد : بل أنا فلاح يا صاحب الجلالة هل نسيت أن العبد ما هو إلا دور أقوم به .

هيرود : وماذا عن دور الوزير؟

العبد : إذن أنا فلاح أقوم بدور عبد يقوم بدور وزير.

هيرود : بل أنت فلاح يقوم بدور عبد يقوم بدور وزير يقوم بدور الملك .

العبد : غلبتنى يا صاحب الجلالة .

هيرود : إذن هيا للتدليك . ستبدأ بأطراف أصابعى فأننى لم أستخدمها اليوم ، لذلك فهى أكثر أطرافى تعبا .

ميراى : هيا الآن يا مولاتى إلى التدليك .

(تقوم ميراى وناردين بنقل سالومى إلى منضدة وثيرة مخصصة للتدليك)

ناردين : هذا عسل نحل قادم من أعالى الجبال لونه صاف كالماء سندلكك به فتعودين فى نضارة طفل وليد.

سـالومى : ذلك كله يذهب هباء . فحبيبى بعيد عنى ولا أملك فى وحدتى إلا أن أناجيه . آه يا حبيبى ! اسقنى قبلات فمك ، فحبك إشهى من الخمر وعطرك طيب الشذا واسمك ملء الفضاء عطرا . اجذبنى وراءك يا حبيبى ولنجر ولنفرح ولنبتهج . آه يا حبيبى ضع شمالك تحت رأسى ودع يمينك تعانقنى . أقبل يا حبيبى اقبل ، فشتائى قد أدبر وانقطع المطر. من ذا يحبسك فى منعطف الصخور يا حبيبى ؟ من ذا يخفيك فى ستر الأعالى ؟ دعنى أرى بهاء وجهك ثانية ، دعنى أسمع هدير صوتك من جديد . هلم نقنص الثعالب التى أفسدت الكروم وحولت أرضى إلى خراب . آه ! قبل أن يولى النهار ويعم الظلام ، عد إلى حبيبى فى خفة غزال المروج وأيل الحقول ، فوق تلك الجبال التى فرقت بينى وبينك وصارت الآن جدباء . بحثت عنك فى فراشى الليالى الطوال فلم أهتد اليك . نهضت فى الليل أطوف بين السحب والنجوم أبحث عنك فما وجدت اليك السبيل .

(ميراى وناردين تغسلان سالومى من العسل)

ميراى : والآن سنصب على مولاتى العطور التى يسافر أريجها مع النسيم من بلد إلى بلد ، عطور آتية من بلاد الهند وأخرى من السند .

ناردين : عطور تتضوع بأريج الفل والياسمين اذا شمتها البلابل فوق الجبال رفرفت فى الهواء وغردت أغنية الحنين .

هيرود : هواء ، هواء ، ليس هناك هواء . يبدو أننى اثقلت من النبيذ .

العبد : بل هو حر بلادكم يا مولاى . أنه فى ازدياد مستمر .

هيرود : وماذا حدث للبحر ؟ هل صمت أذنى أم أنه أصيب بالبكم ؟

البستانى : لقد سكن البحر تماما ولم يعد يتحرك . كم كان البحر جميلا ! كم كانت رائحته زكية !

ميراى : ما أجملك يا مولاتى الآن وما أطيب عطرك ! شفتاك الآن تقطران شهداً يا أجمل عروس ، وجسدك لبن وعسل ، وثيابك يتضوع منها أريج البساتين النائية من مر وعود وكل شجر يصنع منه البخور.

نــــاردين : مولاتى أنت الآن نافورة انبثق منها الماء على صورة فردوس غرس فيه الرمان وتدلت منه العناقيد ورقصت فيه الزهور والرياحين .

ســـالومى : لكن لمن يا ناردين لمن ؟ الثمرة ستسقط قبل أن يعود حبيبى .

هيــــرود : قبل أن يعود الحرس علينا أن نعيد هذه الخوذات إلى مكانها وإلا أضافوا إلى اتهامنا بالجنون الاتهام بالسرقة مما قد يزيد من فترة حبسنا .

العـــبــد : من أين أتيت بها يا صاحب الجلالة ؟

هيــــرود : سرقتها من مخزن السلاح .

العـــبــد : لا تقل سرقتها يا صاحب الجلالة .

هيــــرود : بل سرقتها ، فأنا ملك والسرقة حق الملوك والحكام . وأنت الست وزيراً فى مسرحيتنا ؟

العـــبــد : أنا وزير البلاط .

هيــــرود : إذن من حقك أن تسرق أيضا ولكن ليس كثيرا خذ هذه الخوذات ، أعدها إلى مكانها وارجع ثانية .

(العبد يلم الخوذات ويشرع فى الخروج)

هيـــــرود : إذا أردت أن تسرق منها فاسرق واحدة فقط . لن يحاسبك عليها أحد .

العـــبـــد : شكراً يا صـاحب الجـلالة . (لنفسـه) كم هى عجيبة بلادهــــــم . (يخرج)

هيـــــرود : (للبستانى) أما أنت فابق هنا معى . أنى أخاف الوحدة . ثم أنك لا تصلح للسرقة على أى حال .

ســـالومى : سرق منى حبيبى يا ميراى .

مـــيـــراى : قد نستطيع أعادته ولو قليلا يا مولاتى .

ســـالومى : ماذا تقولين ؟

مـــيـــراى : لقد أعددت لك ما أشارت به الساحرة .

ســـالومى : أى ساحرة ؟

مـــيـــراى : قادش العجوز ساحرة الجبال التى ما هى بامرأة ولا برجل .

ســـالومى : ماذا تقولين يا ميراى ؟

مـــيـــراى : أعددت لك الشاب المطلوب . أنه سراج ابن القابلة التى ولدت أم مولاتى تماما كما طلبت الساحرة . أنه هنا فى القصر ينتظـر مولاتى .

ســـالومى : هو ليس حبيبى .

مـــيـــراى : لكنه سيعيد إليك حبيبك يا مولاتى .

سالومى : هو ليس حبيبى يا ميراى . حبيبى جميل مثل القمر ، شاهق كجبل لبنان ، جليل مثل السنديان، كل شيء فيه هو السحر . هذا هو حبيبى ومن عداه فلا شكل له ولا لون ولا طعم .

ميراى : ما تلك إلا حيلة يا مولاتى حتى تتصلين فى النهاية بحبيبك . أن هذا الشاب ما هو إلا وسيط لإستحضار حبيبك من العالم الآخر .

سالومى : آه يا ميراى ! كم أود لو ذهبت بنفسى إلى حبيبى ! لكنى لن أمكن الأقدار اللعينة منى . ليس بعد . ليس بعد يا ميراى .

ناردين : لقد اكتملت زينتك يا مولاتى .

سالومى : هيا بنا إذن للقاء ذلك الشاب التعس .

(تخرج سالومى ووراءها ميراى وناردين فيتم إظلام الجزء الأعلى من المسرح)

هيرود : والآن سأعلمك لعبة . (يقف فى مواجهة البستانى ويشير بيده على صدره وصدر العبد بالتبادل) حادى بادى ، كرنب زبادى ، شاله وحطه ، كله على دى . (يشير إلى صدره)

البستانى . .. شاله وحطه ، كله على دى . (يشير إلى صدره)

هيـــــرود : لا لا ليس هكذا . عـندمـا تقـول : شـالـه وحـطـه كله علـى دى ، يجب أن تشـيـر إلـى صـدرى أنا ، فـأنـا الذى وقـع على الاخـتـيـار لأكون ملكا. كـان من الممكن طبـعـا أن يقـع الاخـتيـار عليك لكن ذلك لم يحدث .

(على المستوى الأسـفل من المسرح يدخل الحرس ومعهم سراج)

الجندى (١) : أأنت الذى وقـع عليك الاختيار ؟

ســــــراج : نعم . هكذا قالوا لـى .

الجندى (١) : أبق هنا اذن .

ســــــراج : هل سـأنتظر طويلا .

الجندى (٢) : ستنتظر إلى أن يؤذن لك بلقاء الملكة .

ســــــراج : لقد انتظرت منذ الصباح الباكر .

الجندى (١) : (يقاطعه) كف عن الكلام يا ابن القابلة وانتظر مكانك .

الجندى (٢) : (يلمح هيرود والبستـانى) أنت ثانية يا هيرود ؟ اذا لم تلتزم بحجرتك فسأضطر لإبلاغ زوجتك .

هيـــــرود : كنت فقط اسأل صديقى عن احوال الحديقة .

الجندى (٢) : (للبستانى) وأنت ؟ مـاذا تفعل هنا ؟

البـسـتـانى : تعلم أيها الجندى أننى لم يعد لى عمل بالحديقة .

الجندى (١) : بل لم يعد لك عمل على الاطلاق ، لا فى الحديقة ولا فى مكان آخر . لقد أعلن اليوم الوزير لاشين أن هناك أمرا بالاستغناء عنك لاهمالك فى عملك . أن منظر حديقة القصر يدل على أنك لم تقم بعملك كما يجب .

البستانى : كيف ذلك ؟ من قال ذلك ؟

الجندى (٢) : الوزير هو الذى قال ذلك . هل لديك اعتراض ؟

البستانى : تعلمون أن الذنب ليس ذنبى .

الجندى (١) : نعلم لكن هكذا قال الوزير .

الجندى (٢) عليك الآن أن تبحث عن عمل آخر .

هيرود : (للبستانى) يبدو أنك ستنضم إلينا طالما أصبحت الآن رسميا بلا عمل .

البستانى : كيف ذلك ؟ كيف أترك عملى بعد كل تلك السنين ؟

هيرود : تعالى معى . سأجعلك وزيرا أنت الآخر . أو ربما جعلتك القائد الاعلى لجيوش المملكة. (يهمس فى أذنه) فى هذه الحالة سيصبح بامكانك أن تسب هذين الجنديين إذا أردت .

البستانى : كل ما أريده هو أن أبقى فى عملى . لقد أفنيت فيه عمرى .

هيرود : لا يهم . لا يهم . ستعتاد حياة البطالة مثلنا .

الجندى (٢) : هيا هيا يا هيرود إلى حجرتك .

هيـــــرود : (للبستانى) هيا ايها القائـد الأعلى .

(البسـتان يبكى فـيضع هيرود يده على كتفه مواسيا ويخرجان)

الجندى (١) : (لسراج) تذكر يا ابن القابلة أننا واقفان بالباب . أى محاولة غادرة منك فى حضرة الملكة ستجد هاتين الحربتين قد اخترقتا جسدك قبل أن تدرى .

الجندى (٢) : إن بدرت منك أيه نذالة لن تخرج من هنا حيا .

ســـــراج : إننى لن أخرج من هنا حيا على أى حال .

(يخرج الجنديان)

ســـــراج : رفقا بى أيتـها الآلهة ! أن قلبى يكاد ينشطر من الترقب والانتظار . هل حقا ستقبل على سالومى الآن ؟ أنا من دون كافة البشر؟ هناك من يهبون حياتهم للرهبنة ، أو يموتون شهداء الوطن ، لكنى اخترت أن أهب حياتى لسالومى . ها هو صوت حبيبتى ها هو ذا . انها قادمة كالظبية تقفز بين الجبال ، كالمهرة تطفر بين التلال . ترى كيف يكون وجهها ؟ كيف عينيها ؟ كيف شعرها ؟

(يظهر الحرس أعلى المسرح)

الجندى (١) : مولاتى سالومى .

الجندى (٢) : ملكة البلاد .

(تنفرج الغلالة الشفافة وتظهر سالومى أعلى المسرح بينما تدخل ناردين وميراى من أسفل المسرح حيث يقف سراج)

سراج : يا إلهى رفقا بى ! ليست هذه سالومى بل ملاك هبط من السماء .

ميراى : تمالك نفسك يا سراج حتى ننتهى من هذا الأمر بسلام .

ناردين : رفقا به يا ميراى .

سراج : لقد شاهدت سالومى قبل سنوات طوال فى ساحة المدينة . كنت قد بلغت لتوى مبلغ الرجال . كانت أجمل ما وقع عليه نظرى فى الدنيا . لكنى أجد اليوم أن السنين قد زادتها جمالا على جمال . النساء يفقدن نضارتهن مع العمر وسالومى تزداد رونقا يوما بعد يوم .

(تنزل سالومى الدرج إلى المستوى الأسفل للمسرح ويخرج الحرس)

سالومى : أهذا هو ؟

نـــارديـــن : نعم يا مولاتى .

ســـالومـى : هل أفهمتموه ما هو مطلوب منه ؟

مـــيـــراى : أفهمته كل شىء يا مولاتى .

(تخرج ميراى وناردين)

ســـالومـى : هل ذهبت إلى الساحرة قادش أيها الشاب ؟

ســـــراج : (مبهورا) من أجلك يا مولاتى ذهبت إلى من يخافها الرجال . ذهبت إليها فى كهفها الرهيب بجبل جرزيم .

ســـالومـى : هل أوضحت لك مهمتك ؟

ســـــراج : زفت لى أن الاقدار قد أوقعت على الاختيار من بين كافة شباب البلاد لألبى لمولاتى مطلبها العزيز .

ســـالومـى : هل ستهب لنا جسدك ؟

ســـــراج : جسدى وروحى وكل ما أملك أهبه لك يا مولاتى عن طيب خاطر .

ســـالومـى : دعنا من روحك ، أننا لسنا بحاجة إلا لجسدك .

ســـــراج : لقد صار لى شرف أن أكون أداة اشباع رغباتك الملكية يا مولاتى . لقد صمت عن الطعام ثلاثة أيام .

سـالومـى : هل طلبت منك الساحرة ذلك ؟

سـراج : نعم . قالت أن بازا أسودا عملاقا طار من معبد قديم بأرض طيبة فى مصر ناشرا جناحيه فى السماء ، ثم حط على شجرة سنط أمام كهفها الرهيب . قالت أنه أنشب اظافره فى رأس حمامة سوداء وقال لها فى صوت آدمي عجوز أن تشق جسد الحمامة وتدرس أحشائها ، ثم قذف اليها بالحمامة وطار عائدا من حيث جاء .

سـالومـى : وماذا فعلت العجوز ؟

سـراج : فعلت ما أمرها بها الباز فوجدت رئة الحمامة وقلبها وأحشائها سوداء ، وقرأت فيهم أن تأتى بجسد شاب يكون من عشاقك يا مولاتى ويكون متصلا بميلادك لكى تحل فى جسده روح حبيبك الناصرى . وقالت أننى قبل أن ألقى مولاتى يجب أن أصوم عن الطعام ثلاثة أيام . وقد مضت الأن ثلاثة أيام كاملة لم أذق فيها أى طعام حتى أكاد يغشى على .

سـالومـى : حسن ، حسن . هل أنت على استعداد الآن لتهبنا جسدك ؟

سـراج : كالقربان الذى يقدم للآلهة يا مولاتى سالومى .

سالومى : أين السم ؟

سراج : (يقدم لها قارورة صغيرة) هذا هو يا مولاتى . صنعته قادش العجوز من كبد حية رقطاء تغذت على العقارب التى تسكن القبور.

سالومى : هلم إذن . سأقطر منه فى فمك . اقترب قليلا أيها الشاب .

(يقترب سراج من سالومي ويركع على ركبتيه أمامها رافعا رأسه اليها وقد فتح فمه . تفتح سالومى القارورة وتبدأ فى تقطير السم ببطء فى فمه المفتوح)

سراج : لقد تحول السم فى يد مولاتى إلى شهد حلو المذاق ... آه رأسى يدور يا مولاتى .

سالومى : ذلك تأثير السم الذى يسرى الآن فى جسدك .

سراج : بل هو جمالك يا مولاتى . أنت الهة الحب ... تلوح فوق السحب وأنا عبدك فى الأرض يتضرع إليك لينال رضاك .

سالومى : كف عن الكلام ودع ذلك السم ينزلق إلى جوفك .

سراج : مهلا يا مولاتى . قد عشت العمر أحلم بالتطلع إلى بهاء سالومى وها هى سالومى الآن أمامى أتطلع اليها لحظة قبل أن أموت .

سالومى : لازالت بقية من السم فى تلك القارورة . (تقطر فى فمه)

سراج : أه مولاتى ! يشرق علىّ جبينك من علٍ كالفجر بعد ليل طويل . جميلة كالقمر ، لكنك خاطفة كالبرق .

سالومى : ألم تشعر بتأثير السم بعد ؟

سراج : نعم ها أنذا أدخل جنتى . لكن الأمد لن يطول كى أقطف منها زهرات المر والطيب وأطعم الشهد والعسل وأشرب الخمر واللبن .

سالومى : باقى قطرات معدودة فافتح فمك قليلا .

سراج : رأسى يثقل يا مولاتى من طول النظر إليك وما أظننى بحاجة للسم .عيناك مثل بحيرات حشبون التى يبكى حولها المحبون وأنفك مثل برج لبنان الشامخ تجاه دمشق ورأسك قائم كأنه الكرمل وعنقك برج من عاج وشعرك كأنه الأرجوان قد شدت خصلاته وثاق ملك . ما أحلاك يا سالومى بين اللذات . أنت نخلة وثدياك العناقيد . لو كان هناك متسع من الوقت لصعدت النخلة وأمسكت بالسعف لكن العمر بات قصيرا .

سالومى : بم تشعر الآن ؟

سراج : بطنك عجين حنطة يحيطة السوسن . رأسى ثقيل .. (تسقط رأسه عند قدمى سالومى) ما أجمل قدميك فى نعليك الملكين ..

سالومى : (تقذف بالقارورة) لقد فرغ السم ولازلت تهذى.

سراج : (يرفع إليها رأسه بصعوبة) رحماك يا مولاتى . قد منحتك روحى وحياتى منذ وقع عليك نظرى أول مرة قبل أن أمنحك الآن جسدى ، فهل تستكثرين على لحظة قد تطول أو تقصر لكنها لا تزيد فى النهاية عن لحظة ؟!

سالومى : أفهم ما تقول أيها الشاب وأعرف ما تشعر به . أن لى فى صدرى قلبا مثل قلبك الجريح . لا تبتأس . أننا سنلتقى عما قريب .

سراج : كم أنت رقيقة يا مولاتى !

(سالومى تأخذ رأسه بين يديها وتقبله ثم تتركه فيسقط ميتا)

سالومى : كم أحسدك أيها الشاب . أحزانك قد انتهت أما أنا فمازال على أن أعيش بأحزانى .

(تصفق بيديها فيدخل الحرس)

الجندى (١) : مولاتى .

سالومى : احملا جسد هذا الشاب إلى كهف الساحرة قادش بجبل جرزيم وأخبراها أن تستعد فأنا فى طريقى اليها .

الجندى (٢) : أوامرك مولاتى .

(تخرج سالومى . الجنديان يحملان جسد سراج ويخرجان . من الجانب الآخر يدخل الثائر ومعه إثنان من رفاقه)

الثائر : لقد اقترب الموعد فهل الجميع على استعداد ؟

الرفيق (١) : إن الرفاق قد اجتازوا النهر وهم ينتظرون الآن الإشارة للهجوم على القصر .

الثائر : هل أحكمنا قبضتنا بالكامل على الضفة الشرقية وراءنا؟

الرفيق (٢) : بلا منازع .

الرفيق (١) : بل بلا مقاومة . لم نكن نتصور أن زحفنا سيكون بهذه السرعة . الأهالى جميعا فى كل شبر كنا نصل إليه كانوا يستقبلوننا بالترحيب . النساء يزغردن والرجال يقدمون لنا ما بقى لديهم من مؤن ويطلبون الانضمام لنا . الأطفال يصيحون : أهلا أهلا برجال الناصرة !

الرفـيق (٢) : قوات المملكة ذاتها قد انضمت لرجالنا بمجرد وصولهم إلـــى قلعة عيبال.

الرفـيق (١) : ما أن شاهدوهم يتقدمون من سفح الجبل حتى أرسلوا لهم الخيل لتصعد بهم إلى القلعة وسلموهم ما لديهم من سلاح .

الثـــائر : لم يبق الآن سوى الوصول إلى قلعة مكاور فى الشرق فنكون قد طوقنا القصر من الجانبين . ثم يحين موعد الانقضاض .

الرفـيق (١) : يجب أن نطلق سراح الآلاف المعتقلين فى القلعة .

الرفـيق (٢) : يجب أن ننهى سيل الدماء الذى لا يتوقف .

الرفـيق (١) : الرفاق يتطلعون .

الرفـيق (٢) : إننا لا نستطيع استبقاءهم .

الثـــائر : المهم أن نصمد . لحظة الخلاص تقترب . أنى أراها رؤى العين وأكاد المسها بيدى . أرى الحياة تدب فيك من جديد يا بلادى . ستعود حقولك خضراء يانعة وتعود مياهك رقراقة متدفقة . ستعود هضابك وتلالك لسالف عهدها . سيعود أبناءك أحياء وبناتك خلابات فاتنات .

الرفـيق (١) : متى ؟

الرفــيق (٢) : متى ؟

الثـــــائر : أقرب مما تتصوران . لكن هيا بنا فأمامنا عمل كثير.

(يخرج الثائر ووراءه رفيقاه بينما تظهر وسط الجزء العلوى بمؤخرة المسرح بوابة ضخمة هى بوابة القصر . يقف على جانبى البوابة الجنديان . تندفع من أحد جوانب المسرح بالمستوى السفلى زوجة البستانى وتندفع من الجانب الآخر القابلة)

الزوجـــــة : (متجهة فى ثورة شديدة إلى البوابة) افتحوا .

القــــابلة : (متجهة أيضا وبنفس الثورة إلى البوابة) افتحوا ! دعونى أمر !

(يعترضها الجنديان)

الزوجـــــة : أدخلونى ! دعونى أراها تلك الطاغية الفاسقة !

القــــابلة : لقد تصورت أنها ملكت الناس جميعا ، لكن هيهات .

الزوجـــــة : قولوا لها زوجة البستانى وستعلم لماذا جئتها .

القــــابلة : وأنا القابلة التى أتت بها إلى هذه الدنيا وليتنى ما فعلت .

الزوجـــــة : آه يا زوجى ! آه يا زوجى !

القـــابلة : ولدى ! فلذة كبدى !

الزوجـــــة : قتلت زوجى !

القـــابلة : قتلت ولدى !

(يتــجـمـع على صــراخــهـا بعض المارة من بينـهم الرجل(١) والرجل (٢) والسيدة (١)والسيدة (٢))

رجـــل (١) : (لزوجة البستانى) ماذا هناك ؟ ماذا حدث ؟

سـيـدة (١) : (للقابلة) ماذا ألم بك يا أختاه ؟

الزوجـــــة : (للرجل (١)) زوجى يا عم كنعان . زوجى مات.

القـــابلة : ابنى ! فلذة كبدى ! أخذته!

سـيـدة (٢) : مات ؟ متى ذلك ؟

رجـــل (٢) : من التى أخذته ؟

الزوجـــــة : مات اليوم يا عم كنعان . اليوم . (تبكى)

القـــابلة : ومن غيرها صائدة الرجال ، السفاحة ، القاتلة .

رجـــل (١) : كيف مات ؟

الزوجـــــة : طردوه من عمله بعد أن أمضى عمره كله يرعى حدائق القصر . طردوه هكذا . فجأة وبلا أسباب فمات .

سـيـدة (١) : مات ؟

الزوجة : أقول لك مات ! عاد إلى البيت ومات . مات بالحسرة . هى التى قتلته . (تبكى)

رجل (١) : وأنت يا أختاه ؟ كيف أخذت منك ابنك ؟

القابلة : قتلته هو الآخر. (تبكى)

سيدة (٢) : كيف ذلك ؟

القابلة : أرسلت له من استدعوه إلى القصر فودعنى وذهب . ذهب طواعية وقال لى ألا أنتظره . سحرت له . سلبته ارادته .

سيدة (١) : يقولون أنها أصبحت الآن تستعين بالسحرة لقضاء حاجاتها.

القابلة : لكنى جئت وراءه إلى هذه البوابة . وانتظرت اليوم بطولة إلى أن شاهدته خارجا . (تبكى) خرج جثة هامدة . (تصرخ) قاتلة ! قاتلة !

الزوجة : مات مقتولا . شاهدت هامة تخرج من رأسه بعد أن مات . هامة فى شكل طائر أخذ يرفرف ويطلب القصاص . ظل يصرخ ويندب صائحا : اسقونى ! اسقونى ! وسيظل يصرخ هكذا فى البلاد إلى أن تراق دماء من اغتاله . أطلب القصاص . أطلب القصاص .

القـــابلة : منحتها الحياة فأخذت حياة ابنى الذى لم يكن لى سواه انها قاتلة ! قاتلة !

سيـدة (٢) : يا للفجيعة ! هدئى من روعك يا أختاه . لا فائدة. أنها اللعنة التى أصابت البلاد .

الزوجـــة : وما ذنب زوجى ؟ هل هو المسئول عن تلك اللعنة ؟

رجـــل (١) : تقبلى الأمر بشجاعة يا أختاه . هدئى من روعك .

الزوجـــة : كيف اتقبل ذلك يا عم كنعان ؟ لا لن أهدأ إلا بالثأر. الثأر لزوجى ولكل من قتلتهم تلك القاتلة المجرمة .

رجـــل (١) : فقدت زوجتى أنا أيضا ، بعد خمسين عاما من الحياة سويا . كنا فى الحقل وسمعت زوجتى أصوات خراب المدينة فصرخت : واه قوماه ! فكان أن تحولت على الفور إلى عمود الملح .

رجـــل (٢) : عمود ملح !

رجـــل (١) : نعم عمود ملح سرعان ما أنهار وتفتت فى الأرض أمام عينى .

سيـدة (١) : يا إلهى !

رجـــل (١) : إنها اللعنة . أخذت منى إمرأتى وأخذت حقلى أيضا . لم يعد الندى يقرب أرضى . صارت الأرض خرابا لا تقطنها إلا الغربان والسحالى .

سـيـدة (٢) : يا للمصيبة !

الزوجـــــة : آه يا زوجى ! آه يا رجلى !

القـــابلـة : آه يا ولدى ! يا فلذة كبدى !

سـيـدة (٢) : يقولون أن حديقة القصر ذاتها أصبحت خرابا ينعق فيها البوم وترتع فيها الأفاعى .

الزوجـــــة : آه يا زوجى !

رجـــل (٢) : وجدنا فى السهل حية ميتة شغلت جثتها فدان أرض كامل وبفمها الضخم كان هناك حصانا ميتا وعلى ظهره أحد حراس القصر.

القـــابلـة : آه يا ولدى !

سـيـدة (٢) : حقولنا صارت خرابا فى خراب . حتى الخضر الذى قال عنه الرب أنه كلما مست قدماه الأرض أخضرت، مشى فوق أراضينا فظلت جدباء كما هى .

الزوجـــــة : آه يا زوجى !

القـــابلـة : آه يا ولدى !

(يدخل الرجل (٣) مندفعا)

رجـــل (٣) : يا أهل البلاد ! يا أهل البلاد !

رجـــل (١) : ماذا هناك ؟

سـيـدة (١) : ماذا حدث ؟

رجـــل (٣) : حل بنا الخراب المقيم وجاءت الكارثة .

رجـــل (٢) : الخراب يحيط بنا من كل جانب فما هو الجديد؟

سـيـدة (٢) : فقدنا قوتنا وأزواجنا فهل بعد ذلك خراب ؟

سـيـدة (١) : فقدنا حقولنا ومات أطفالنا . فهل هناك بعد ذلك من كوارث ؟!

رجـــل (٣) : بل هناك المزيد .

رجـــل (١) : ماذا هناك ؟

رجـــل (٢) : ماذا حدث ؟

رجـــل (٣) : الـيـوم لفـظ البـحـر كـل مـا فـيـه من حـيـاة . أطنان مـن الاسـمـاك عـلى كل شـكل، وأعـشـاب مـن كـل نـــوع ، خـرجـت مــن بطــنه مـيـتـة مـتـعـفنة .وسـمـع الصـيـادون بومـة سـوداء تزعق وتقـول : بعـد مـوت الأرض يمـوت أيضـا البـحـر حـتى منه لا ترزقـون وبخـيراته لا تنعـمـون . من الآن فصـاعدا سيسمى بالبحر الميت ، سيظل بلا حـيـاة ، بلا خـيـرات، إلى يوم الدينونة ، وكل مـا ينزله سيموت !

سـيـدة (١) : يا إلهى ! لقد اكتملت اللعنة !

رجـــل (٢) : كيف للعقل أن يصدق ذلك ؟

رجـــل (٣) : تعالوا معى لتروا كيف يفقد البحر زرقته ويتحول إلى اللون الأسود . تعالوا معى لتروا كيف يلفظ البحر الحياة . تعالوا معى جميعا يا أهل البلاد لتروا أن البحر أيضا قد مات .

(يخرجون بسرعة وراءه وسط صراخ وصيحات : يا لمصيبة ! يا للفجيعة !... الخ ، بينما تكتنف المستوى الأعلى من المسرح سحابات دخان كثيف ينقشع قليلا فتكون البوابة قد اختفت وتظهر قادش الساحرة جالسة فى كهفها وأمامها إناء كبير يتصاعد منه الدخان ، وهى امرأة طاعنة فى السن شعورها كثيفة مجعدة ولها شارب كبير وصوتها غليظ بحيث تبدو مخلوقا غريبا ما هو برجل ولا بامرأة . إلى جوارها يبدو جسد سراج مغطى بملاءة . على المستوى الأسفل من المسرح تجلس سالومى وقد وقفت خلفها كل من ناردين وميراى)

قـــادش : (تنفخ فى الاناء) تعالى من جبل ختا المشؤوم . تعالى من الجبل الأشيب سيد الجبال وقطب اليمن ، الذى يظهر عليه أهل النار وتعوى فيه

الذئاب . تعالى من نجران وصعدة وبكلى .
تعالى من جبال حضور وحنين وراس جبل على
ورأس صبر وتعكر حيث يعيش عبدة الشيطان .
تعالى هنا إلى غابة الفهود وعرين الأسود بجبل
جرزيم .

(يرتفع الدخان وتنطلق بعض الطيور)

ها كم سرب الطيور . البلبل يغنى ويقول :أكلت
نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء ، والهدهد يقول :
إذا نزل القضاء عمى البصر ، وكل حى ميت ،
وكل جديد إلى زوال ، لدوا للموت وابنوا للخراب
، والنسر يصيح : يا ابن آدم عش ما شئت فانك
ميت . (تنفخ فى الإناء) تعالى ! تعالى !
تعالى ! (تعلو فجأة من الاناء السنة النار) من
أنت ؟ من أنت ؟ (يسمع صوت ذو رنين)

الصوت : أنا شق . أعلم ما حل وما دق .

قادش : أقسم بالإسم والربا ، والعلم والأبا، والنار والضيا .

الصوت : أنا شق ولدت فى قبائل تضم . ليس لى مفصل ولا عظم .

قـــــادش : يا من خرجت ممسوخا وأكلت أمك .

الـصـــوت : أنا شق تنبأت بالزيـادة والنقصان ، بفراغ الحق والزمان .

قـــــادش : أقسم بالنار والغلق .

الـصـــوت : ما لى رأس ولا عنق .

قـــــادش : مرحا مرحا يا شق . (تعلو السنة النار) .

مـــيـــراى : (تترنح) استسمحك مولاتى .. برأسى دوار.. أشعر .. (تسقط على الأرض)

قـــــادش : شق ، يا من لا مـفـصـل لك ولا عظم ، لك ذبيـحـة بالجليل وذبحا عظيما فى أرض آدم .

الـصـــوت : لماذا أتيت بى إلى الأرض الخراب ، أرض الجذام . أرض القحط . موطن الأفعوان ؟

قـــــادش : مطلبنا لا يخفى عليك يا شق ، يا من تعلم ما حل وما دق .

الـصـــوت : سـيلتـصق بكم الوباء ليبـيـدكم عن آخـركم . سـيـضـريكم السل والحـمى والبرداء والالتـهـاب والجـفـاف واللفح والذبول . سـيـصـيـبكم الوباء بالقـرحـة والبـواسـير والجـرب وحكة الشـرج . ستكون السمـاء فـوق رؤوسكم نحـاسـا والأرض

تحتكم حديد . سيتحول مطركم إلى غبار ، ترابا سينزل عليكم من السماء حتى تهلكوا وتتعفن جثثكم وترفضها طيور السماء ووحوش الأرض .

نـــاردين : مولاتى .. لا استطيع .. (تمسك برأسها)

ســالومى : خذى ميراى وانتظرى خارج الكهف .

(ناردين تأخذ ميراى وتخرج)

قـــادش : شق يا من لا رقبة لك ولا عنق . فلتنفخ الريح فى قوتك وتزيد النار من فحولتك . آتى لنا بمن نريد . الجسد مسجى هنا وما تنقصنا إلا الروح .

الصـــوت : الروح التى تريدونها قد حضرت فى الجسد لكنه لا يريد أن ينهض . كبريت وملح صارت كل أراضيكم ، لم يعد ينبت فيها زرع ولا صار يطلع بها عشب .

قـــادش : ارغمه يا شق ، يا من اتخذت من الشر عمادك ، أجبره يا شق ، يا من اكلت أمك يوم ميلادك .

(يتحرك جسد سراج تحت الملاءة ولكنه لا ينهض من مكانه)

ســالومى : (مندفعة إلى الجسد) انهض . انهض يا حبيبى . انهض وأقبل على . قم يا حبيبى وتعالى إلى .

الشتاء قد أدبر وما عاد هناك مطر ، قد زينت لك وجهى ، وجسمى به عطر الزهور . أنهض يا حبيبى انهض . ادخل جنتك وأطعم منها شهى الثمار . أقبل يا حبيبى فتحيل الخراب مرة أخرى إلى خضار . أقبل وأعد إلى ما فات . تعالى يا حبيبى فلم يعد هناك بقية من الزمان .

(ينهض سراج فى بطء وفوقه الملاءة)

سراج : (وقد تغير صوته) ماذا فعلتم ببلادى ؟ ليست هذه بلادى ! الوطن صار خرابا وعم فيه الفناء . الأرض ماتت والبحر أيضا قد مات .

سالومى : أنه صوته . هو صوته . إنى اعرفه . (حين يسمع صوتها يبعد عنها) لا تشح بوجهك عنى أيها الناصرى . لا تبعد عنى . العطب فى قلبى مع كل يوم يزداد والدواء عندك أنت يا حبيبى .

سراج : .....

سالومى : تحدث إلى أيها الناصرى . قل لى متى يكون اللقاء ؟

سراج : لن يكون بيننا لقاء .

سالومى : ألن أموت ؟

سـراج : من قتل يقتل .

سالومى : متى ؟

سـراج : اقرب مما تتصورين . لحظة الخلاص اقتربت . إنى أراها رؤى العين وأكاد المسها بيدى .

سالومى : عندئذ ألن ألقاك ؟

سـراج : ماذا فعلتم بالبلاد ؟ سال الدم فى كل شبر من الأرض .

سالومى : تكلم ! ألن القاك؟

سـراج : اغرقتم الأرض بالدم فكان يجب أن ينضب عنها الماء .

سالومى : بل سألقاك . أعرف أننى سألقاك .

سـراج : النهاية أصبحت قريبة .

سالومى : متى ؟ متى ؟

سـراج : لم تبق إلا لحظات وتنفرج الطاقة ليعم النور بعد أن طال الظلام .

(يسقط على الأرض وتنطفىء فجأة النيران)

سالومى : (لقادش) اعيديه كما كان . أنى لم انته بعد .

قـادش : لا استطيع .

سالومى : أعيديه قلت لك . أعيديه .

قـادش : لا تطلبى المستحيل يا سالومى .

سالومى : أعيديه وإلا صببت عليك جام غضبى .

قادش : قلت لك لا استطيع .

سالومى : إذن اطلبى من ذلك الجنى الرخو المخنث الذى أتى به أن يعيده من جديد.

قادش : حذار يا سالومى . قد تتملكين البلاد ويأتمر أهلها بأمرك لكنك لن تملكى مملكة الجان .

سالومى : (تنهال على الساحرة بالضرب والركل) أعيديه. أعيديه . قلت لك أعيديه . أعيديه .

قادش : (تصرخ) آه ! لقد فقأت عينى . (تغطى وجهها بيديها وتخرج مسرعة وهى تصرخ) آه ! عينى ! لقد فقأت عينى .

سالومى : (تنهار باكية) لم يمهلونى . لم يمهلونى . لو أنهم تركوه لى قليلا لنجحت فى استمالته لكنهم لم يمهلونى . آه ! يا للحرمان الذى فرض على أن أعيش فيه ! يا للعذاب الهائل الذى سأموت به .

(اظلام . حين تعاد الاضاءة يكون المسرح خال والستار الشفاف قد اسدل على المستوى الأعلى للمسرح . على المستوى الأسفل تدخل هيروديا وورائها لاشين)

لاشــــين : المملكة قد سقطت ولم يعد هناك من خلاص .

هيروديـاس : أى أم البلاد يا من كنت موطن الثروة العظيمة . كيف قضى عليك ؟ كيف سقطت يا زهرة شباب المدن واندحرت ؟

لاشــــين : بالتدريج يا مولاتى بالتدريج .

هيروديـاس : كنا بالأمس فقط زينة بلاد الدنيا جميعا فماذا حل بنا .

لاشــــين : حل بنا كل ما عرفه الكون من لعنات . أبيد الجيش عن آخره ومن بقى منه انضم للثوار حتى صارت البلاد بكاملها الآن فى يد الناصريين.

هيروديـاس : واه حسرتاه لقواتنا الحربية المجيدة ! واه لحشد الرجال الذين مزقهم القدر الآن شر ممزق !

لاشــــين : الجموع قد اقتربت من القصر يا مولاتى ولم يعد أمامنا الآن إلا الهرب قبل أن يدقوا أبوابنا .

هيروديـاس : أين سالومى ؟ أين الملكة ؟

لاشــــين : فى مخدعها لا تريد مغادرته .

هيروديـاس : دعك منها إذن ولننج بأنفسنا .

(يسمع دق شديد على الأبواب وتتعالى أصوات من الخارج)

الأصـــوات : الموت لهم.. هم سبب البلاء.. نريد الثأر. نريد القصاص.. ماذا فعلوا بالبلاد.. ماذا فعلوا بنا.. الموت لهم .

هيروديـاس : ويحى يا لاشين ! ماذا سنفعـل ؟

لاشـــين : كان بإمكاننا أن نهرب .

هيروديـاس : ألن نستطيع ذلك الآن ؟

لاشـــين : كيف نترك القصر وقد وصلوا إلى البوابة .

هيروديـاس : ما العمل إذن .

لاشـــين : لقد ضاق علينا الخناق .

(يندفع إلى المسرح الثائر ومعه رفيقاه)

هيروديـاس : (فى فزع) يا إهى ! من أنتم ؟

الثـــائر : نحن أبناء الراحل الذى لم يرحل والغـائب الذى لم يغيب .

لاشـــين : كيف دخلتم إلى هنا؟

الرفـيق (١) : دعك من تلك الاستفسارات البلهاء وتعال معنا .

الرفـيق (٢) : وأنت أيضا يا سيدتى .

هيروديـاس : إلى أين ؟

لاشـــين : هل ستقتلوننا ؟

الثـــائر : سنقدمكم للمحـاكمة حتى يصدر عليكم الحكم الذى تستحقون.

هيروديــاس : لكن يا بنى ..

الرفـيق (١) : هيا .

الرفـيق (٢) : هيا أمامنا .

(يقتادون هيروديـاس ولاشين إلى الخارج . يظهر المسـتـوى الأعلى من المسـرح خلف السـتـار الشفاف وتبدو وراءه سالومى فى مخدعها مع وصيفاتها)

سـالومى : زينينى يا ميراى فاليوم يوم اللقاء . البسينى أفـخـر ثيابى اليوم سألقى حبيبى . يجب أن يجدنى حبيبى فى أكمل صورة . (ميراى تلبسها الثياب) اعزفى الموسيقى يا ناردين قد حان موعد رقصتى الأخيرة . (تعزف ناردين على آلة كالهارب أو الفلوت تصاحبها آلات كمان لا يعرف مصدرها بينما تبدأ سالومى رقصة كالطقس الصوفى هى رقصة الموت . فتظل تلف وتدور ما بين الحلم والواقع ، ما بين الحياة والموت ، حتى نهاية المشهد ونهايتها على أيدى الثوار) كم اشتوق للقائك يا حبيبى . ها قد حان موعد اللقاء . ها أنا آتية اليك كما تركتنى . من

سنين قلبى لم ينبض لأحد منذ رحلت عنى .
عينى لم تر سواك منذ غبت عن ناظرى .
(يندفع إلى المستوى الأسفل من المسرح رجل (١) ورجل (٢) ورجل (٣) وسيدة (١) وسيدة (٢) وزوجة البستانى والقابلة)

رجل (٣) : يجب أن نقتلهم جميعا .

سيدة (١) : دماء رجالنا فى أرقابهم .

الزوجة : سأثأر بنفسى لزوجى .

القابلة : دم ولدى .

رجل (١) : هذا هو البهو الرئيسى .

سيدة (٢) : اين أهل القصر ؟

رجل (٢) : لنبحث عنهم فى كل مكان .

الزوجة : الطائر يرفرف ويصيح : اسقونى ! اسقونى !
(يخرجون)

سالومى : أين ثوبى الأرجوانى يا ناردين ؟ أحضرى لى يا ميراى مشلحى المرصع بالياقوت والزبرجد. أسرعا فالوقت أزف . (ناردين تنضم إلى ميراى فى إلباس سالومى ثيابها بينما يستمر صوت الموسيقى وتواصل سالومى رقصتها) . قال لى

أنه لم يبق سوى لحظات . صراعى مع الأقدار قد وصل الآن إلى نهايته وبعد طول عذاب سأخلد إلى الراحة السرمدية .

نـــاردين : تاجك يا مولاتى . (تقدم لها التاج)

ســالومى : (تدور فى رقصتها) لم تعد بى حاجة اليوم للتيجان .

مــيــراى : والصولجان . (تقدم لها الصولجان)

ســالومى : ولا الصولجان . سأقابل حبيبى اليوم لأول مرة ونحن متساويان . فى العالم الآخر لا يوجد ملوك ولا اتباع . (ميراى وناردين يواصلان الباسها فاخر الثياب) فى هذه الغرفة دبت فى الحياة ولدتنى أمى هنا . وفى نفس الغرفة ستزهق الآن روحى لألقى حبيبى .

مــيــراى : قد لا تكون هذه هى النهاية .

نـــاردين : (تبكى) كيف نعيش بدونك يا مولاتى ؟

ســالومى : (تضع يدها على فم ناردين لتسكتها ثم تواصل رقصتها) لن يكون هناك اليوم بكاء . لا تحولى نهايتى إلى فجيعة رخيصة .. هذه ليلة عرسى . أرى العرش المعد لى فى السماء . أنظرا كيف

صنع من خشب أشجار الهند المعطرة . أعمدته الفضة ومسنده الذهب ومقعده الأرجوان وطنافسه زخارف الحب التى طرزتها أيدى عذارى الوديان . أنظرا كم هو جميل حبيبى وقد جلس على العرش يوم عرسه ، يوم أزف اليه . أنى آتية اليك . سأسقيك خمرا ممزوجا بسلاف رمانى . (لناردين وميراى) أعطيانى زهرة البنفسج الحزينة لأضعها بين ثديى وزهرة النسرين الرقيقة لأضعها تحت ابطى وزهرة القرنفل ذات العطر الآخاذ لأضعها بين فخدى ، والأن هبى يا ريح الشمال النقية ، اقبلى يا ريح الجنوب الدافئة ، أرسلا فوق جسدى أنفاسكما ليفوح منى عبير الزهور ، وليتضوع جسدى بريح الفردوس حتى يهتدى إلى حبيبى .

(يدخل إلى المستوى الأسفل من المسرح الثائر ورفيقه).

الثائر : (مشيرا إلى المسرح) هنا مخدع سالومى.

الرفيق (١) : فلنقتحمه قبل أن تهرب .

الثائر : سالومى لن تهرب .

(يصعد الثوار الدرجات ويمزقوا الستار)

الرفيق (٢) : ها هى رأس الأفعى وسبب كل البلاء .

ميراى : يا إلهى !

ناردين : مولاتى !

سالومى : (تتوقف عن الرقص) ألا تلقون أولا بالسلام .

الثائر : ليس بيننا وبينك سلام .

سالومى : انتهكتم مخدعى كما انتهكنى هو قبل أن يرحل .

الرفيق (١) : بل انتهكت أنت كل الحرمات .

سالومى : كنت أعلم أنه سيرسل إلى رفاقه ليوصلنى إليه .

الرفيق (٢) : سنوصلك إلى التهلكة .

سالومى : كنت أنتظركم .

الثائر : جئنا نحرر البلاد من فسادك وشرور عشيرتك ونعيد اليها العدل والحق .

سالومى : (تبتعد عنه قليلا لتواصل رقصتها وإن بدت الآن أكثر ترنحا من ذى قبل) سأتحرر أخيرا من هذا العذاب الذى حملته فى صدرى سنين طوال .

الرفيق (١) : حملت البلاد من العذاب ما لا يحتمله بشر .

سالومى : (تواصل رقصها غير مبالية بالثوار) روحى يثقل عليها حزن هائل لم تستطع كل مباهج الحياة أن تقلل منه .

الرفـيق (٢) : أثقلتم على البلاد بحمل ينوء بحمله البشر حتى صار كل إنسان يسعى للخلاص منكم ومن شروركم .

ســالومـى : لكنى الأن قادمة إليك يا حبيبى .

الرفـيق (١) : ستكونين آخر الملوك الأغراب فى هذا البلد .

ســالومـى : ستمحى مملكتى من الوجود يا حبيبى . ها أنا أسلمها لرفاقك .

الرفـيق (٢) : لقد طال استعبادكم لنا .

ســالومـى : حين يمر من هنا الناس بعد قرون لن يجدوا إلا أطلالا . سيقولون هنا كانت مملكة سالومى .

الثــائـر : سيقولون هنا كان الظلم والطغيان ، هنا كان الفسق والفساد ، هنا كانت العبودية والاستبداد، حكمكم للبلاد لن يكون أكثر من فصل واحد فى تاريخنا المجيد وسيتلوه فصل آخر ، حين يكون العالم قد وعى الدرس بأنه لا يمكن لحكم أن يقوم على الدم . سيعود أبناء هذا البلد أحرارا يصنعون مجدا جديدا يقوم على المساواة والعدل، على البناء والعمل ، على الرخاء والحق.

(تسمع اصوات من الخارج)

الأصـــوات : اقـتلوهم جـمـيـعـا ! .. نريد الثـار لآبائنا وأبنائنـــــا ! .. اقـتلوهم فـداء للأبرياء ! .. اقتلوهم حقنا للدماء !

(يندفع إلى المسرح من اليمين واليسار رجل (١) ورجل (٢) ورجل (٣) وسـيـدة (١) وسـيـدة (٢) وزوجة البستاني والقابلة)

الـرجـل (١) : هاهى راس الأفعى !

سـيـدة (١) : ها هى أس الفساد !

زوجة البستانى : الثار لأبنائنا !

الـقــابلـة : الثار لأزواجنا !

(يندفعون نحو سالومى فيستوقفهم الثائر ورفاقه بينما تواصل سالومى دورانها وهى ترقص كالدجاجة المذبوحة)

الـثــائـر : انتظروا قليلا .

الـرجـل (٢) : لقد انتظرنا طويلا .

الرفـيق (١) : سالومى يجب أن تقدم للمحاكمة .

الرفـيق (٢) : العدل يجب أن يأخذ مجراه .

السيدة (١) : لو كانت فى البلاد محكمة عادلة لقدمناها لها.

السيدة (٢) : لم يعد فى البلاد عدل ولا قانون .

الرجل (١) : لم تبق إلا عدالة السماء التى لا يملك الحكام منها فرار.

الرجل (٣) : هى محكمة الشعب التى لاحقت كل الطغاة على مر التاريخ .

الرجل (٣) : الحكم الذى يعتمد فى بقائه على الدم لا تزيله إلا الدماء .

سيدة (٢) : اقتلوها ! اقتلوها !

الثائر : انتظروا .

سالومى : (تتوقف لحظة عن الرقص) بل هيا فقد طال انتظارى .

زوجة البستانى : فلنرجمها كالزانيات .(تقذف سالومى بحجر)

القابلة : نرجمها كالعاهرات (تقذف سالومى بحجر . تبدأ سالومى مرة أخرى فى الدوران فيأخذ الجميع فى الرجم بينما يبدأ اظلام تدريجى تسمع خلاله صيحات ميراى وناردين : آه ..آه .. الحجارة .. الحجارة.. يتعالى صوت الحجارة فيتداخل مع صوت البحر المنتصر)

ستار

رقم الايداع بدار الكتب ١١٣٧٧ / ١٩٩٨

I.S.B.N 977 - 01 - 5906 - 9



ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل. ومازلنا نتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

شبَّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضىء النفوس ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدة وتعتمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث. ومازلت أحلم بالمزيد من لألىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى تترسخ فى وجدان أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر الفن، مصر التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨



مائة وخمسون قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب